

طبعة جديدة
الآن في الأسواق

ضِيَاءُ الْقَمَرِ
في نَجَاةِ وَالِدِي الرَّسُولِ الشَّرِيفَيْنِ

رسالة علمية تأصيلية تحريرية

طبعة ثالثة مُنقَّحة مَزِيدَة

للشيخ الشريف

جميل بن مُحَمَّد علي خليم

رئيس جمعية المشايخ الصوفية

دكتور محاضر في العقائد والفرق والسيرة

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَائِخِهِ

بِشْرِكَةِ دَارِ الْمَشَارِقِ

ضِيَاءُ الْقَمَرِ فِي نَجَاةِ وَالِدِي الرَّسُولِ الشَّرِيفَيْنِ

رسالة علمية تأصيلية تحريرية

طبعة ثالثة مُنقَّحة مَزِيدَة

للشيخ الشريف
جميل بن مُحَمَّد علي حليم
رئيس جمعية المشايخ الصوفية
دكتور محاضر في العقائد والفرق والسيرة
عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَائِخِهِ

شركة دار المشايخ

الطبعة الرابعة
١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٦ ر

شركة دار المشايخ

بيروت - لبنان
العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون، بناية الإخلاص
تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٥٢٨٣ - ١٤ بيروت - لبنان



ISBN 978-9953-20-792-6



9 789953 207926

email: dar.nashr@gmail.com
www.dmcpublisher.com

تقريظ

الحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على سيدي وحببي محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد، فقد سرتني مطالعة كتاب «ضياء القمرين في نجاة والدَي الرسول الشريفين» لفضيلة الشيخ الدكتور جميل حلیم حفظه الله، ورأيت الكتاب مليئًا بالأدلة الشرعية القراءانية والحديثية وأقوال العلماء، وأن المسلمين لا سيما طلبة العلم يحتاجون إلى هذا الكتاب حاجة ماسة لبيان الحكم الشرعي ولبیان الحق من الباطل الذي ينشره الكثير من الناس بين غلو وتقصير، بين من يقول كل جد من أجداد النبي إلى آدم عليه السلام مؤمن وبين من يقول بأن والدَي رسول الله كافرين وسيدخلان جهنم.

فجاء هذا الكتاب واضحًا شاملًا شافيًا لصدور قوم مؤمنين مبيّنًا للحكم الشرعي الصافي، فجزى الله مؤلفه الخير العظيم.

أخوكم في الله

الشيخ الدكتور سليم علوان

أمين عام دار الفتوى في أستراليا

٢٠١٥/٢/٢٥

نُبذة تعريفية بالشيخ الدكتور جميل حليم

بقلم الناشر

هو السيد الشريف رئيس جمعية المشايخ الصوفية الشيخ الدكتور عماد الدين أبو الفضل جميل بن محمد علي حليم، الحسيني الأشعري الشافعي الرفاعي القادري.

تلقى العلوم والطرق عند علامة العصر وقدوة المحققين الحافظ الشيخ عبد الله بن محمد الهرري الشيبلي العبدري ولزمه وصحبه واستفاد منه زماناً طويلاً وكان يعيد دروسه وإملاءاته في كثير من مجالسه العامة والخاصة بطلب منه رضي الله عنه، وقرأ وسمع وحضر في علوم شتى على كثير من العلماء والفقهاء والمحدثين من مشاهير البلاد كمكة والمدينة وجدة ولبنان وسوريا والعراق ومصر وأندونيسيا وتركيا والمغرب واليمن والحبشة وغيرها، وأجازه كثير من العلماء والمحدثين والمشايخ في مختلف البلاد إجازة عامة مطلقة وخاصة بكل ما تجوز لهم روايته وفي الطرق والإرشاد والتسليك وإقامة الختم والحضرة وتلقي الأوراد.

وقد حاز الشيخ جميل على شهادتي دكتوراه، الأولى من الجامعة

العالمية في لبنان تحت عنوان «السُّقُوط الكبير المُدَوِّي للمَجَسِّم ابن تَيْمِيَّة الحرَّاني» بتقديرٍ ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، والأخرى من جامعة مولاي إسماعيل بالمغرب تحت عنوان «التأويل في علم الكلام وضوابطه عند أهل السنة والجماعة» وذلك بتقدير مشرِّف جدًا.

وقد أُوِّلى الشيخ جميل اهتمامه العلم والمطالعة وتأليف الكتب وتحقيق مصنَّفات العلماء في مكتبته «المكتبة الأشعرية العبدرية» في بيروت وقد حَوَّت آلاف الكتب المطبوعة والمخطوطة النادرة في علوم وفنون شتى بالإضافة إلى نشاطاته الواسعة وممارسته الخطابة في المساجد وإلقاء المحاضرات والمشاركة في المؤتمرات في لبنان والخارج والمحاضرات في بعض الجامعات ومشاركة الناس في أفراحهم وأتراحهم، واستقباله المشايخ وطلبة العلم وعموم الناس. ولم ينكفئ عن خدمة الناس ومخالطتهم لنشر الدين والدعوة والعلم. وقد بلغت مؤلفاته ومصنَّفاته وتحقيقاته لبعض الكتب فوق المائتي كتابٍ إلى الآن.

وقد قرأ وسمع على العلماء والمشايخ وحصَّل تلقِّيًا أكثر من ثلاثمائة كتاب في كل الفنون والعلوم ولله الفضل والحمد والمِنَّة ولا زال إلى اليوم بعونٍ من الله وتوفيقٍ وتسديدٍ قائمًا على الخطابة في المساجد والتدريس وإلقاء محاضرات في المساجد والجامعات

والمعاهد وفي مناسبات الناس العامة كالجنائز والتعازي والأعراس جوّالاً على المحافظات والبلاد بذلك، كما وأنه شارك وحضر في كثيرٍ من المؤتمرات والمهرجانات والاحتفالات في كثيرٍ من الدول والبلاد بطلب ودعوة من أهلها، وله العديد من المقابلات واللقاءات في عدد من وسائل الإعلام كالتلفزيون والإذاعة والمجلات والصحف، وهو دكتور أستاذ محاضر في الجامعة العالمية في لبنان، كما وأنه يعقد مجالس الإقراء والإسماع في الأحاديث المسلسلة وكتب الحديث الشريف كالكتب السبعة وغيرها من أمّهات الكتب من العقائد والأحكام والفقه والتّصوف وهو أوّل من أقرأ صحاحي البخاري ومسلم في لبنان من تلاميذ الحافظ الهرري، وقد أقرأ إلى الآن العشرات من الكتب والمؤلّفات التي حضر فيها الجَمّ الغفير من المشايخ والدّعاة والأساتذة والدّكاترة ومعلّمي ومعلّمات المعاهد والمدارس وخطباء المساجد وطّالِب الكليّات والمعاهد الشرعيّة، وبعض هذه المجالس تبث مباشرة على مواقع التواصل وصفحات الفايسبوك وبعض هذه المجالس والمحاضرات شاهدها قريبٌ من ثلاثة ملايين مشاهد.

كما وقد راسله وهاتفه وكتبه وشافهه عدد كبير من المشايخ والدكاترة والدّعاة والأساتذة والفقهاء والمحدثين لطلب وأخذ الإجازة منه، وإجازته من كل بقاع الدنيا قاربت الألف إجازة بعضها مذكور ومفصّل في ثبته الموسوم بـ«جمع اليواقيت الغوالي

من أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي»، وقد طبع مرات ومعظم إجازاته وأكثرها التي جاءت بالمئات في ثبته الكبير المسمّى بـ«المجد والمعالي من أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي».

هذا وقد خصّه بعض العلماء وأحفاد رسول الله ﷺ من الأُسَر الشريفة المشهورة وأصحاب الطرق من بلادٍ عدة بآثارٍ من آثار رسول الله محمد ﷺ، فحفظها في «الخزينة الحليمية». وفي كل عام يتبرك عشرات الآلاف من المسلمين في مختلف البلاد ببعض هذه الآثار الزكيّة المباركة العطرة، وقد حصل بذلك خيرٌ عظيم جسيمٌ كبير من دخول بعض النَّاس في الإسلام وظهرت حالات شفائيّة سريعة وظاهرة جدًّا حتى جُمِع بعضها في كتابٍ طبع مرات وهو «أسرار الآثار النبويّة أدلّة شرعيّة وحالات شفائيّة» ولله الحمد والفضل والثناء والمنة والشكر الجزيل على ما أسدى من الفضل العميم وصلى الله وسلّم على سيدنا محمد وعلى كل النبيين والمرسلين وءالٍ كلٍّ وصحب كلٍّ وسائر عباد الله الصالحين^(١).

بيروت، الخميس ٢٩ المحرم ١٤٤٢ هـ

الموافق ١٧ أيلول ٢٠٢٠

(١) للتواصل مع المؤلف راجع ما يلي: +٩٦١٣٠٦٠٧٨ / +٩٦١٣٦٧٣٩٤٦

info@sheikhjamilhalim.com :

sheikhjamilhalim@gmail.com

التوطئة

الميزان في بيان عقيدة أهل الإيمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلّم وشرف وكرم على سيّدنا محمّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيمِ الجاهِ، العاليِ القدرِ طه الأمين، وإمامِ المرسلين وقائدِ الغرِّ المحجلّين، وعلى ذريته وأهل بيته الميامين المكرّمين، وعلى زوجاته أمّهات المؤمنين البارّات التقيّات النقيّات الطاهرات الصفيّات، وصحابته الطيّبين الطّاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد، فهذه عقيدة كل الأمة الإسلامية سلفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تُعرض عليه عقائدُ الناس، فمن خالفها أو كذبها لا يكونُ من المسلمين، وهي ميزان الحقِّ الذي يَكشِفُ زيفَ الباطلِ وزيغَهُ، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهمِّ لخصوصِ الغرضِ وعمومِ النَّفعِ؛ وعليه:

اعلم أرشدنا الله وإياك أنه يجبُ على كلِّ مكلفٍ أن يعلمَ أنّ الله عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكه، خلقَ العالمَ بأسره العلويِّ والسفليِّ والعرشِ والكرسيِّ، والسمواتِ والأرضِ وما فيهما وما بينهما. جميعُ الخلائقِ مقهورونٌ بقدرته، لا تتحرّكُ ذرّةٌ إلا بإذنه، ليس معه مُدبّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حي قيومٌ لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ

والشهادة لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً، فعال لما يريد، قادر على ما يشاء، له الملك وله الغنى، وله العز والبقاء، وله الحكم والقضاء، وله الأسماء الحسنى، لا دافع لما قضى، ولا مانع لما أعطى، يفعل في ملكه ما يريد، ويحكم في خلقه بما يشاء، لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً، ليس عليه حق يلزمه ولا عليه حكم، وكل نعمة منه فضل وكل نعمة منه عدل، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. موجود قبل الخلق، ليس له قبل ولا بعد، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمم ولا خلف، ولا كل ولا بعض، ولا يقال متى كان ولا أين كان ولا كيف، كان ولا مكان، كَوْن الأكوان، ودبر الزمان، لا يتقيّد بالزمان، ولا يتخصّص بالمكان، ولا يشغله شأن عن شأن، ولا يلحقه وهم ولا يكتنفه عقل، ولا يتخصّص بالذهن، ولا يتمثل في النفس، ولا يتصوّر في الوهم، ولا يتكيف في العقل، لا تلحقه الأوهام والأفكار، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١)

نقول جازمين معتقدين صادقين مخلصين، بأننا نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، الذي لم يتخذ صاحبةً وليس له والد ولا والدة، الأول القديم الذي لا يشبه مخلوقاته بوجه من

الوجه، لا شبيهة ولا نظير له، ولا وزير ولا مُشير له، ولا مُعين ولا أمر له، ولا ضد ولا مُعالب ولا مُكره له، ولا نِد ولا مثل له، ولا صورة ولا أعضاء ولا جوارح ولا أدوات ولا أركان له، ولا كيفية ولا كمية صغيرة ولا كبيرة له فلا حَجْم له، ولا مقدار ولا مقياس ولا مساحة ولا مسافة له، ولا امتداد ولا اتساع له، ولا جهة ولا حَيِّز له، ولا أين ولا مكان له، كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان بلا مكان.

تنزّه ربي عن الجلوس والعود والاستقرار والمحاذاة، الرّحمن على العرش استوى استواءً منزهاً عن المماسّة والاعوجاج، خلق العرش إظهاراً لقدرته ولم يتّخذ مكاناً لذاته، ومن اعتقد أنّ الله جالس على العرش فهو كافر، الرّحمن على العرش استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر، فهو قاهر للعرش مُتصرّف فيه كيف يشاء، تنزّه وتقدّس ربي عن الحركة والسكون، وعن الاتصال والانفصال والقرب والبعد بالحسّ والمسافة، وعن التحوّل والزوال والانتقال، جلّ ربي لا تُحيط به الأوهام ولا الظنون ولا الأفهام، لا فكرة في الربّ، لا إله إلا هو، تقدّس عن كلّ صفات المخلوقين وسمات المحدثين، لا يمسّ ولا يمسّ ولا يحسّ ولا يجسّ، لا يُعرف بالحواس ولا يُقاس بالناس، نُوحده ولا نُبعّضه، ليس جسمًا ولا يتّصف بصفات الأجسام، فالمجسّم كافر بالإجماع وإن قال (الله جسم لا كالأجسام) وإن صام وصلى صورةً، فالله ليس شبحًا، وليس شخصًا، وليس جوهرًا، وليس عَرْضًا، لا تحلّ فيه الأعراض، ليس مؤلّفًا ولا مُركّبًا، ليس

بذي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس
 غيمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روحٌ، لا اجتماع له ولا
 افتراق، لا تجري عليه الآفات ولا تأخذه السنات، منزّه عن الطولِ
 والعرضِ والعُمقِ والسَّمكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يحلُّ فيه
 شيءٌ، ولا ينحلُّ منه شيءٌ، ولا يحلُّ هو في شيءٍ، لأنه ليس كمثله
 شيءٌ، فمن زعم أن الله في شيءٍ أو من شيءٍ أو على شيءٍ فقد أشرك،
 إذ لو كان في شيءٍ لكان محصورًا، ولو كان من شيءٍ لكان مُحدثًا أي
 مخلوقًا، ولو كان على شيءٍ لكان محمولًا، وهو معكم بعلمه أينما
 كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء
 مخالطًا لكم.

وكلم الله موسى تكليمًا، وكلامه كلامٌ واحدٌ لا يتبعض ولا يتعدد
 ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتدأً ولا مُختتمًا، ولا يتخلله
 انقطاع، أزليٌّ أبديٌّ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان
 ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام.
 كلامه صفةٌ من صفاته، وصفاته أزليةٌ أبديةٌ كذاته، وصفاته لا تتغير
 لأنَّ التغيرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصفةِ يستلزمُ حدوثَ
 الذاتِ، والله منزّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه
 ذلك، فصونوا عقائدكم من التَّمسُّكِ بظاهرٍ ما تشابه من الكتابِ
 والسنةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿فَلَا تَصْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾،
 ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ

الْمُنْمَنِي ﴿١﴾، ومن زعم أن إلهنا محدودٌ فقد جهَلَ الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفر.

﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِزَّ اللَّهُ ﴾، ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾، ﴿ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾، ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴾،

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ما دخل في الوجود من الأجسام والأجرام والأعمال والحركات والسكنات والتوايا والخواطر وحياة وموت وصحة ومرض ولذة وألم وفرح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبرودة وليونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجن والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحبات الرمال والحصى في السهول والجبال والقفار فهو بخلق الله، بتقديره وعلمه الأزلي، فالإنس والجن والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئاً من أعمالهم، وهم وأعمالهم خلق لله، ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾، ومن كذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أن سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا وَعَظِيمَنَا وَقَائِدَنَا وَفِرَّةَ أَعْيُنِنَا وَغَوْثَنَا وَوَسِيلَتَنَا وَمَعْلَمَنَا وَهَادِينَا وَمُرْشِدَنَا وَشَفِيعَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ،

وصفيُّه وحببيُّه وخليُّه، مَنْ أَرْسَلَهُ اللهُ رَحْمَةًٍ لِّلْعَالَمِينَ، جَاءَنَا بِدِينِ
الإِسْلَامِ كَكُلِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا
إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ قَمَرًا وَهَاجًا وَسِرَاجًا مُنِيرًا، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ
وَنَصَحَ الْأُمَّةَ وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ، فَعَلَّمَ وَأَرْشَدَ
وَنَصَحَ وَهَدَى إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْجَنَّةِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى كُلِّ
رَسُولٍ أَرْسَلَهُ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ سَادَاتِنَا وَأُمَّتِنَا وَقَدُوتِنَا وَمَلَائِكَتِنَا أَبِي بَكْرٍ
وَعُمَرَ وَعِثْمَانَ وَعَلِيَّ وَسَائِرِ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ الْأَتْقِيَاءِ الْبَرَّةِ
وَعَنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ الطَّاهِرَاتِ النَّقِيَّاتِ الْمُبْرَاتِ،
وَعَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الْأَصْفِيَاءِ الْأَجْلَاءِ وَعَنْ سَائِرِ الْأَوْلِيَاءِ وَعِبَادِ اللَّهِ
الصَّالِحِينَ.

وَلِلَّهِ الْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ أَنْ هَدَانَا لِهَذَا الْحَقِّ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَشَاعِرَةُ
وَالْمَاتَرِيدِيَّةُ وَكُلُّ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

نَسَبُ الشَّيْخِ الدَّكْتُورِ جَمِيلِ حَلِيمِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

هو السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ الدكتور
عماد الدين أبو محمد جميل بن محمد الأشعري الشافعي
الحسيني الرفاعي القادري ابن السيد محمد ابن السيد عبد الحلیم
ابن السيد قاسم ابن السيد أحمد ابن السيد قاسم ابن السيد
عبد الكريم ابن السيد عبد القادر ابن السيد علي ابن السيد محمد ابن
السيد ياسين ابن السيد إسماعيل ابن السيد حسين ابن السيد محمد
ابن السيد إبراهيم ابن السيد عمر ابن السيد حسن ابن السيد حسين
ابن السيد بلال ابن السيد هارون ابن السيد علي ابن السيد علي أبي
شجاع ابن السيد عيسى ابن السيد محمد ابن أبي طالب ابن السيد محمد
ابن السيد جعفر ابن السيد الحسن أبي محمد ابن السيد عيسى الرُّومي
ابن السيد محمد الأزرق ابن السيد أبي الحسن الأكبر عيسى النقيب ابن
السيد محمد ابن السيد علي العريضي ابن الإمام جعفر الصادق ابن
الإمام محمد الباقر ابن الإمام السجاد علي زين العابدين ابن الإمام
السبط السعيد الشهيد الحسين ابن السيدة الجليلة الزكية الطاهرة
فاطمة البتول زوجة أمير المؤمنين أسد الله الغالب علي بن أبي طالب
عليه السلام وابنة رسول رب العالمين خاتم النبيين والمرسلين محمد

صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين^(١).

(١) وهذا نسبٌ شريفٌ صحيحٌ بلا مِزْيَةٍ مضبوطٌ في كتاب جامع الدّرر البهيةً بأنساب القرشيين في البلاد الشامية، جمع الدكتور الشريف كمال الحوت الحسيني، شركة دار المشاريع الطبعة الثانية (ص ٣٣٢، ٣٣٣) تاريخ ٢٠٠٦ ر - ١٤٢٧ هـ، وفي كتاب غاية الاختصار في أنساب السادة الأطهار، ويليه المستدرك الطبعة الثالثة (ص ١) ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٠ م، وفي كتاب الحقائق الجلية في نسب السادة العريضية (ص ٤٣٣، ٤٣٤) كلاهما للدكتور الوليد العريضي الحسيني البغدادي. ومن أراد الاطلاع على الوثائق والشهادات فليُنظَر كتاب «المورد الهنيء في نسب آل علي» أو «الدّرر النّظيم في بيان نسب آل حليم»، جمع الشيخ الشريف الدكتور كمال الحوت، شركة دار المشاريع الطبعة الأولى تاريخ ٢٠٢٥ ر - ١٤٤٧ هـ.

خطبة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العلي الماجد المخصوص وحده بجميع المحامد، المنفرد بتحقيق المآرب والمقاصد، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا ومولانا محمد المشهود والشاهد، وقدوة كل عاكف وعابد، وإمام كل راكع وساجد، المتفرد بالشفاعة العظمى والشهادة الكبرى يوم المشاهد، وعلى آله الأطهار العظماء الأماجد، وعلى صحابته الأجلاء الذين كانوا للإسلام أوسمة وقلائد، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ما حسنت في آل رسول الله نية كل قاصد، وما طرد عن معرفة مقامهم العالي كل غر معاند.

أما بعد، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة آل عمران). [104]

فإنه من المعلوم أن الله تعالى لم يعط مخلوقًا من مخلوقاته من المحبة ما خص به نبيه وحبيبه سيدنا محمدًا ﷺ يعرف ذلك كل من له أدنى مسكة من عقل أو بصيص من نور الهداية لا سيما حين يطالع القرءان الكريم الحافل بتمجيده وتوقيره ﷺ فقد خص في

القرءان الكريم بمزايا عظيمة، وسجايا جسيمة، لا يتسع المقام لسردها.

أما من ناحية العِرض الطاهر فقد كان ﷺ في ذروة الشرف العالي منه من أوله إلى منتهاه فإن تلوث العِرض ودناءة الأصل مما يعاب به المرء لذا طَهَّرَ الحَقُّ عز وجل نبيه ﷺ في نسبه جميعاً^(١).

وقد تحدث ﷺ بنعمة الله تعالى عليه في ذلك فقال: «أنا محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما فرقة فأخرجت من بين أبوين فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي فأنا خيركم نفساً وخيركم أبا» رواه البيهقي^(٢).

فمن هذا وغيره يعلم أن والدي النبي ﷺ عبد الله وءامنة ما ماتا إلا على الإيمان وأنهما ناجيان في الآخرة لا كافران ولا هالكان.

(١) ومعنى هذا أنه لم يحصل في ءابائه وأجداده من وُلد منهم من زنى، بل وُلدوا من نكاحٍ لا من سفاح.

(٢) دلائل النبوة (١/ ١٧٥).

وأما ما ذكره بعض المصنفين من كفرهما وهلاكهما فهو خطأ فاحش وغلط عظيم وما اعتمدوا عليه ليس بدليل قاطع للحكم عليهما بالكفر.

ولقد كان ذلك الدافع لجمع رسالتنا هذه الموسومة بـ «ضياء القمرين في نجاة والدي الرسول ﷺ الشريفين» دفاعاً عنهما وتبياناً للحق، ثم طبعت مرة أخرى للحاجة وإلحاح الطالبين، لكن لما وجدنا فئة نابتة من أصول فرق المجسّمة والمشبهة في هذا العصر يتناولون على والدي النبي ﷺ جهاراً نهاراً في محاضراتهم وعبر بثوثهم في مواقع التواصل وظهر تأثيرهم على بعض من يتابعهم فانساقوا معهم، رأينا الحاجة إلى إعادة طبع هذه الرسالة المباركة وبثّها في الآفاق مرّة أخرى.

وقد خرج الكتاب بطبعته الثالثة الجديدة منقّحاً مزيّداً بالفوائد وأقوال العلماء، فلم يخرج مُعاداً على سبيل التكرار من غير حاجة إليه، بل استجابةً لداعٍ علميٍّ ملحٍّ، وضرورةٍ اقتضتها أحوالٌ تجدد فيها الكلام في هذه المسألة، واشتدّ فيها لغطُ المتجرّئين. وقد بسطت الأقوال الناصرة لهذه المسألة في هذه الرسالة على منهج التحقيق والتدقيق، رجاءً أن تكون مرجعاً معتمداً، ومؤيِّداً للحق في القضية، ودافعاً للشُّبه الخبيثة، ومقوّياً لسبيل أهل الحق.

كيف لا، وإنّ من أبرز مقاصد هذه الإعادة تبرئة حريم النبي ﷺ مما نُسب إليه، وصيانة هذا المقام الشريف عمّا لا يليق به، مع بيان ما عليه أهل الحقّ فيها، ونصرة ما قرّره المحقّقون في بسط أدلّتها، ممّن جمعوا بين دقّة النظر وسلامة المنهج، وكمال الأدب مع رسول الله ﷺ.

فليس المقصود من ذلك مجرد الانتصار لرأي، بل تثبيتاً للحقّ الذي درج عليه أهله، وصيانةً للقلوب من مسالك الغلوّ والجفاء، وإقامةً لميزان الأدب حيث اختلّ، فإنّ تعظيم النبي ﷺ أصلٌ عظيمٌ تُبنى عليه المواقيف، وتوزن به الأقوال.

ولقد عمدتُ في هذه الرسالة إلى سرد أقوال علماء أهل السنة والجماعة المستمّدة من القراءان والحديث، فاشتملت على مقدمةٍ وثلاثة أبوابٍ وعدّة فصولٍ مندرجةٍ تحتها على النحو التالي:

مقدمة: فيها الكلام على طهارة نسب النبيّ ﷺ.

الباب الأول: أقوال العلماء الدالّة على نجاة الأبوين، وهو منقسم إلى ثلاثة فصول:

• الفصل الأول: استدلال بعض العلماء على أن والدي الرسول ﷺ قد خصهما الله بدعاء إبراهيم عليه السلام وأبقاهما على ملته لم يغيرا ولم يُبدّلا ولم يُشركا.

• الفصل الثاني: استدلال بعض العلماء على نجاة والدي الرسول ﷺ بأنهما ماتا في الفترة.

• الفصل الثالث: استدلال بعض العلماء على نجاة والدي الرسول ﷺ بما روي من إحيائهما.

الباب الثاني: ينقسم إلى ثلاثة فصول:

• الفصل الأول: رد قول القائلين بعدم نجاة الأبوين.

• الفصل الثاني: فائدة عظيمة النفع وفيها بيان تضعيف الحفاظ والعلماء لحديث «إن أبي وأباك في النار».

• الفصل الثالث: فائدة عظيمة تدل على إيمان عبد الله والد رسول الله ﷺ من حديث رسول الله ﷺ.

الباب الثالث: يذكر فيه بعض ما ورد في كتب ومؤلفات فيها بيان نجاة والدي الرسول ﷺ وبعض القصائد في هذا الموضوع، وهو منقسم إلى سبعة فصول:

• الفصل الأول: ذكر ما جاء في كتاب «السُّبُل الجليّة في الآباء العليّة».

• الفصل الثاني: ذكر ما جاء في كتاب «التعظيم والمِنَّة في أنّ أبوي النبي ﷺ في الجنة».

• الفصل الثالث: ذكر ما جاء في كتاب «آثار النبي ﷺ».

• الفصل الرابع: ذكر ما جاء في كتاب «إتحاف الحنفا بنجاة والدي المصطفى ﷺ».

• الفصل الخامس: نقول ومؤلفات حول موضوع نجاة والدي الرسول ﷺ.

• الفصل السادس: شذوذ وانحراف المجسّمة المشبّهة الوهابية بتكفيرهم والدي الرسول ﷺ واتّهامهم لهما بالشرك وأنهما من أهل النار.

• الفصل السابع: قصائد في نجاة والدي الرسول ﷺ.

• الفصل الثامن: ذكر دار النابغة من بني النجّار.

• الفصل التاسع: فتوى دار الإفتاء المصرية في نجاة والدي النبي ﷺ وأهم مسالكها الاستدلالية.

• الفصل العاشر: قذاعة ألسنة الطاعنين في والدي النبي ﷺ.

ثم ختمتها بذكر خلاصة ما قاله العلماء في هذه المسألة وخاتمة للكتاب.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وسبباً للنجاة يوم الدين ونيلاً للبركات والفيوضات والأمداد من حبيب رب العالمين محمد ﷺ، وأن يوفّقني للحق ويعصمني من الزل، إنه كريم مُجيب.

مقدمة

في طهارة نسب الرسول ﷺ

إنَّ الله أوجد نبيّه محمدًا ﷺ من خالص خلاصة ولد عدنان من أظهرِ البشريّة وأطيب الأنساب، وأنفس جواهر النُّطف الناشئة بين الأمهات والآباء، لم يزل ينقله من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفّى مهذبًا لا تتشعب شعبتان إلا كان في خيرهما إلى أن أخرجته إلى الدنيا سيد المرسلين، وخاتم النبيين، ورحمة للعالمين. هذا وقد زلّت قدم بعض الناس فنسبوا أبويه إلى الشرك. والحذر الحذر من ذكرهما بنقص فإنّ ذلك يؤذيه ﷺ لحديث ابن عساكر^(١): «لا تُؤذُوا الأحياء بسبِّ الأموات»، وهو عند الترمذي وأحمد بلفظ^(٢): «لا تُسبُّوا الأموات، فتؤذُوا الأحياء».

قال القاضي ابن العربي المالكي: «ولا أذى أعظم^(٣) له ﷺ من أن يقال إنّ أبويه في النار». والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [سورة الأحزاب] اهـ.

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٦/٤١).

(٢) سنن الترمذي (٩٠/٤)، ومسند أحمد (١٥٠/٣٠).

(٣) أي في مقام الكلام على حال أبويه، والمعنى أنّ ذلك من أشدّ الإيذاء.

طهارة نسبه ﷺ في الأحاديث

سنذكر أحاديث تدلّ على طهارة نسبه ﷺ وأنه خرج من نكاح صحيح لا من زنى من لدن ءادم إلى أبيه وأمه، وإليكم الأحاديث التالية:

١- روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي ءَادَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى كُنْتُ فِي الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ»^(١).

٢- وأخرج مسلم والترمذي وصححه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قَرِيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قَرِيْشِ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»^(٢).

٣- وفي «ذخائر العقبى»^(٣) للمحب الطبري من حديث واثلة بلفظه: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ ءَادَمَ إِبْرَاهِيمَ وَاتَّخَذَهُ خَلِيْلًا، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، ثُمَّ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ نَزَارًا، ثُمَّ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ نَزَارٍ مُضَرَ، ثُمَّ اصْطَفَى مِنْ مُضَرَ كِنَانَةَ ثُمَّ

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ (٣/ ١٣٠٥).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي وتسلم الحجر عليه (٧/ ٥٨). سنن الترمذي (٥/ ٣٦٨).

(٣) ذخائر العقبى، المحب الطبري، فضل ذكر اصطفائه (١/ ١٠).

اصطفى من كنانة قريشاً، ثم اصطفى من قريش بني هاشم،
ثم اصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب، ثم اصطفاني من
بني عبد المطلب»^(١).

٤- وروى الترمذي وحسنه عن العباس بن عبد المطلب رضي الله
عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي
خَيْرِهِمْ فِرْقَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ فِرْقَةً،
ثُمَّ جَعَلَهُمْ قِبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بِيُوتًا
فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا وَخَيْرِهِمْ نَسَبًا»^(٢).

٥- وأخرج البيهقي في «دلائل النبوة» عن أنس رضي الله عنه قال:
قال رسول الله ﷺ: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن
هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن
لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة
ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. وما افترق الناس
فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما فأخرجت من بين أبوين
فلم يصنني شيء من عهد الجاهلية، وخرجت من نكاح ولم
أخرج من سفاح»^(٣) من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي

(١) ذخائر العقبى للطبري (١٠/١).

(٢) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، (٤٣٣/٥).

(٣) أي خرج ﷺ من نكاح صحيح لا من زنى.

فأنا خيركم نفسًا وخيركم أبا»^(١).

٦- وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «لم يلتق أبواي قط على سفاح، ولم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبًا لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما»^(٢).

٧- وروى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «إن الله تعالى اختار خلقه، واختار منهم بني آدم، ثم اختار منهم العرب، فاختار منهم قريشًا، فاختار منهم بني هاشم، ثم اختار بني هاشم، فاختارني منهم، فلم أزل خيارًا من خيار ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم»^(٣).

٨- وروى الطبراني وأبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام قال: «قلبت مشارق الأرض ومغاريها فلم أجد رجلًا أفضل من محمد، ولم أر بيتًا أفضل من بيت بني هاشم»^(٤).

(١) دلائل النبوة، البيهقي (١/٩٦).

(٢) دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني (١/٢٠).

(٣) المعجم الكبير، الطبراني (١٢/٤٥٥).

(٤) المعجم الأوسط، الطبراني (٦/٢٣٧). وانظر مجمع الزوائد =

٩- قال ابن حجر^(١): «لوائح الصّحة ظاهرة على صفحات هذا المتن».

يريد - والله أعلم - أن الأحاديث الكثيرة تؤيّده في أفضليّته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي أفضليّته بني هاشم على سائر القبائل.

١٠- وأخرج ابن مردويه^(٢): «قرأ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة]. ثم قال: «أنا أنفسكم نسبًا وصهرًا وحسبًا ليس فيء ابائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح».

١١- وقال السيوطي^(٣): أورد المحب الطّبري في «ذخائر العقبى» والبزّار في «مسنده» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل ناس من قريش على صفية بنت عبد المطلب فجعلوا يتفاخرون ويذكرون الجاهلية، فقالت صفية بنت عبد المطلب: منا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: تنبت النخلة أو الشجرة في الأرض الكبا^(٤)

= الهيتمي (رقم ١٣٨٢٩).

(١) جامع الأحاديث، السيوطي (٩٨/١٥).

(٢) (ص ٦٠٨).

(٣) الحاوي للفتاوي، السيوطي (ص ٢٥٦).

(٤) قال في النهاية: الكبا والكبة هي الكُناسة والتراب الذي يُكنس من البيت، ومرادهم الطعن في أصل النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذي يقول ذلك عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو كافر.

فذكرت ذلك صفيّة لرسول الله ﷺ فغضب وأمر بلالاً فنادى في الناس، فقام على المنبر، فقال: «يا أيها الناس: من أنا؟» قالوا: أنت رسول الله. قال: «انسبوني»، قالوا: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. قال: «فما بال أقوام ينزلون أصلي، فوالله إني لأفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً».

١٢- وأخرج الحاكم^(١) عن ربيعة بن الحارث رضي الله عنه قال: بلغ النبي ﷺ أن أقواماً نالوا منه، فقالوا: إنما مثل محمد كمثل نخلة نبتت من كناس، فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: «أيها الناس إن الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين: فجعلني من خير الفرقتين، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلاً، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، ثم قال: أنا خيركم قبيلاً وخيركم بيتاً».

فاتضح مما سقناه من أحاديث صحيحة أن نسبه ﷺ أظهر الأنساب وأشرفها، ومن كان كذلك لا يكون إلا من نكاح صحيح لا من سفاح وذلك من لدن آدم إلى أبيه وأمه، فعلى هذا لم يحصل في آبائه وأجداده من ولد من زنى.

(١) رواه الحاكم في المستدرک (٥/ ٣١٢).

الباب الأول

الفصل الأول

استدلال بعض العلماء على أن والدي الرسول ﷺ
قد خصهما الله بدعاء إبراهيم عليه السلام
وأبقاهما على ملته لم يغيرا ولم يبدلا
ولم يشركا

اعلم أن عددًا كبيرًا من المفسرين والفقهاء والعلماء استدلوا ببعض الآيات على أنه كان في أجداده ﷺ من هو مؤمن ومنهم من هو من أهل الفترة، وأهل الفترة ناجون يوم القيامة، وأن الوالدين الشريفين ناجيان استدلالًا بهذه الآيات، ومن جملة هذه الآيات التي استدلت بها:

١- قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة البقرة].

٢- وحكى الله تعالى من دعاء إبراهيم عليه السلام قوله ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [سورة البقرة].

٣- وحكى الله تعالى من دعاء إبراهيم عليه السلام أيضًا: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (سورة إبراهيم). ﴿٣٥﴾

٤- وحكى الله تعالى من دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ (سورة إبراهيم). ﴿٤٠﴾

من هذه الآيات استدل عدد كبير من المفسرين والفقهاء والعلماء على أنه كان في أجداده عليهم السلام المؤمنون وكان منهم من هم من أهل الفترة ومن كان كذلك فهو ناجٍ يوم القيامة.

أما قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾ (سورة البقرة) فيدل على أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد دعا ربه أن يجعل من ذريته من ولده إسماعيل عليه السلام أمة مسلمة إذ كان المقام هو الدعاء لنفسه ولإسماعيل عليهما السلام على ما رفعنا من قواعد البيت فتعقيبه على ذلك بقوله: ﴿وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ (سورة البقرة) يوضح أن المراد هم ذرية إسماعيل دون سواه من ولد إبراهيم، كما يوضح أنه قد دعا بأن يبعث الرسول من هذه الأمة المسلمة.

ولا يتصور بعثته من الأمة المسلمة من ولد إسماعيل إلا وأن يكون من البشر من ذلك الزمان وما بعده من كان على ملة إبراهيم - أي الإسلام - وكان في بعض الأزمنة مؤمنون وفي بعضها من هو

من أهل الفترة إلى أن بعث نبينا محمد ﷺ فجاء بدين الإسلام كما كان جداه إسماعيل وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

وقد أخرج ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن ابن جرير في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام ﴿أَجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [سورة إبراهيم]. قال: «لا يزال من ذرية إبراهيم عليه السلام ناسٌ على الفطرة يعبدون الله». ١.هـ

وحيث وُجِدَ في ذرية إسماعيل عليه السلام من عبد الأصنام، فواضحٌ أنّ إبراهيم قد خصّ بدعائه أمةً من ذريته - أي المؤمنين منهم - تبقى فيهم ملته ولا تدرس على تطاول القرون إلى أن يبعث الله رسوله محمداً ﷺ منهم.

فيتضح مما سبق أن عبد الله وءامنة الشريفيين والدي الرسول ﷺ ممن خصّ بدعاء إبراهيم عليه السلام، فكانا على ملته لم يغيرا ولم يبدلا ولم يشركا استجابةً لدعائه عليه السلام كما ذهب إليه بعض العلماء، فبناءً على هذا القول يكونان ناجيين.

الفصل الثاني

استدلال بعض العلماء على نجاة والدَي الرسول ﷺ
بأنهما ماتا في الفترة

سنذكر في هذا الفصل القول الثاني وهو ما ذهب إليه بعض العلماء من نجاة الأبوين بأنهما من أهل الفترة، وسنبين معنى الفترة وحكم أهل الفترة.

فالفرة عند المفسرين: تشمل ما بين كلّ رسولين.

والفقهاء يعنون بها: ما بين عيسى عليه السلام والنبي محمد

ﷺ (١).

فالمراد بأهل الفترة: من كان بعد دثور شريعة عيسى عليه السلام، وقبل بعثة النبي سيدنا محمد ﷺ وهذا ظاهر من قوله تعالى: ﴿يَتَأْهَلُ الْكُتُبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ (١٩)

[سورة المائدة].

وقال المفسرون (٢) ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ﴾: «هي ما بين النبيين».

(١) لسان العرب لابن منظور (١٠/١٦٦).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/١٢١).

وقال الإمام ابن جرير في هذه الآية القول الحسن: «الفترة انقطاع الرسل بعد مجيئهم من فتر الأمر إذا هداً وسكن».

وذكر الجوهري في الصحاح: «الفترة: ما بين الرسولين^(١) من رسل الله سبحانه فلا تكون فترة حتى يتقدمها دعوة رسول ثم يتمادى الزمان فيدثر أمرها ويطول».

وقد ذكر البخاري في صحيحه عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنها كانت مدة ستمائة سنة تقريباً.

أما عن حكم أهل الفترة نجاتهم أو عذابهم، فقد قال السيوطي في «الحاوي»: «أطبقت أئمتنا الأشاعرة من أهل الكلام والأصول والشافعية من الفقهاء على أنّ من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً، مستدلين على أنه لا تعذيب قبل البعثة، رادين بذلك على المعتزلة ومن وافقهم على تحكيم العقل بآيات منها:

١ - قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء].

وقد أخرج ابن أبي حاتم^(٢) في تفسيره في الآية عن قتادة قال: «إنّ الله ليس بمعذب أحدًا حتى يسبق إليه من الله تعالى خبرٌ أو تأتية من الله بيّنة».

(١) ذكر ذلك ابن حجر في فتح الباري (١/١٦٥)، وابن الأثير في النهاية (٦/٦١)؛ والجوهري في الصحاح (٢/٣٢)، والرازي في مختار الصحاح (١/٥١٧).

(٢) الحاوي للفتاوي للسيوطي (ص ٢٤٦).

٢- وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَهَا رُسُلًا يُلَوِّحُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ ﴿٥٩﴾ [سورة القصص].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنَخْرُقَ﴾ ﴿١٣٤﴾ [سورة طه].

٤- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ [سورة القصص].

٥- وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٢٠٩﴾ [سورة الشعراء].

٦- وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ﴾ ﴿١٥٦﴾ [سورة الأنعام].

واعلم أن القول المعتمد لا تعذيب لقوم قبل بعثة نبي إليهم، قال قوم^(١) وليس هذا القول المعتمد إنما القول الآخر الآتي هو المعتمد: المراد به أنه لا تعذيب في الدنيا بالهلاك والقذف والمسخ ونحوه إلا بعد بعثة نبي لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي

(١) أي من العلماء.

أَمَهَا رَسُولًا يَنْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا ﴿٥٩﴾ [سورة القصص]، ونحوها.

وقال آخرون: المراد أنه لا تعذيب لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد دعوة نبي لهم لا احتجاج الله عليهم بأنه لم يعذبهم إلا لكفرهم بمن أرسل إليهم.

أما أهل الفترة فإنه يراد بهم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يُرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني، ولم تبلغهم أي دعوة حق أصلاً كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى عليه السلام، ولا لحقوا النبي ﷺ.

وقد سبق التقل عن أهل العلم أن العرب كانت على دين إبراهيم عليه السلام إلى أن غيرهم عمرو بن لحي فنصب الأوثان وشرع الضلالات، وتبعه العرب من بعده ولكن بقيت بقايا من دين إبراهيم عليه السلام استجابةً لدعوته عليه السلام ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّمَنْ أَضَلَّنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الشَّمْرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا تُخْفِي وَمَا تُعَلِّنُ وَمَا يُخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ ﴿٢٨﴾ [سورة الزخرف].

ووضّحنا أنّ أولى الناس بهذه الدّعوة وبقاء الملة فيهم هم سلسلة الأجداد الشريفة^(١) لما ورد: «وما افترق الناس فرقتين إلّا جعلني الله في خيرها»^(٢).

وورد: «أن الأرض من عهد آدم عليه السلام إلى بعثة النبي ﷺ - في بعض الأزمنة وفي وقتٍ بعد وقتٍ وليس على الاتصال الدائم - لا تخلو من ناس يعبدون الله ويوحّدون».

وأما نيل أهل بيته المؤمنين لشفاعته ﷺ فقد وردت به أحاديث عديدة يشدُّ بعضها بعضاً، فإنّ الحديث الضّعيف يتقوى بكثرة طرقه. منها ما أخرجه الطبراني^(٣) من حديث أم هانئ أنّ النبي ﷺ قال: «ما بال أقوام يزعمون أن شفاعتي لا تنال أهل بيتي، وإنّ شفاعتي تنال حاء وحكم». وحاء وحكم قبيلتان جافيتان من اليمن.

(١) أجداده ﷺ منهم من لم تبلغه الدعوة فلا يُقال عنه مسلماً وإن كان من أهل الفترة كعبد المطلب، وكذا من سبقه ممن كانوا من أهل الفترة.

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (١/٩٦).

(٣) انظر مجمع الزوائد للهيثمي (٩/٤١٦٠). ورواه السيوطي بلفظ: «تناول حاء وحكم» في الحاوي للفتاوي (ص ٢٥٢).

وهذا، ولما كان بعض أصوله ﷺ من ذرية إبراهيم من إسماعيل باقين على الحنفية استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام، فكذلك كان جماعة في زمن الجاهلية^(١) قد تجنبوا عبادة الأصنام وعرفوا أن للكون خالقاً خلقه ولا يشبهه وليس معنى ذلك أنهم صاروا مسلمين وتركوا الشرك، ومنهم كما قال ابن الجوزي في «التلخيص»^(٢): «أبو بكر الصديق، وزيد بن عمرو بن نفيل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان ابن الحويرث، وورقة بن نوفل، ورباب بن البراء، وأسعد أبو كرب الحميري، وقس ابن ساعدة الأيادي، وأبو قيس بن صرمة». ا.هـ

وأخرج البيهقي وأبو نعيم كلاهما في «الدلائل» أن عمير بن حبيب الجهني ترك الشرك في الجاهلية وترك عبادة الأصنام وعاش حتى أدرك الإسلام.

ومما ذكر يُعلم عدم شمول الشرك جميع ذرية إبراهيم عليه السلام من بعده إلى بعثة النبي ﷺ وأن شرعه من جهة إسماعيل لم يندرس^(٣)، بل بقي بعض الناس يعملون ببعض الأحكام مما توارثوه من شريعة إبراهيم عليه السلام.

(١) وهذا قول البعض، وليس هو المعتمد.

(٢) تلخيص فهوم أهل الأثر (١/ ٣٣٣). دلائل النبوة للبيهقي، باب ذكر حديث الجهني (٢/ ١١٨).

(٣) أي لم ينقرض.

أما الأكثر من العرب فكانوا يزعمون انتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام، بينما فشا فيهم فساد كبير مما أحدثه عمرو بن لحي في دين إبراهيم عليه السلام من عبادة الأصنام والفتنة في الدين وغلبة الجهل على الناس، فأولى تسميتهم أهل الجاهلية لغلبة الجهل على الأكثر وخلو الزمان عن المبلِّغ والزاجر.

ولذا فإنَّ العرب ما بين عيسى ومحمد عليهما السَّلام من حيث النجاة وعدمها على مراتب:

منهم: من بقي على شريعة إبراهيم - عليه السلام - فوحد الله ولم يعبد الأصنام كأبيه ﷺ، فهؤلاء مؤمنون ناجون.

ومنهم: من لم تبلغه دعوة أي نبي كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى فهؤلاء أهل فترة.

ومنهم: من كان في زمن جاهليَّة ملأ الجهل الأرض وفقدت الشرائع من آل يعقوب، ولم تبلغ الدَّعوة على وجهها إلا نفرًا يسيرًا من أهل الكتاب متفرقين في أقطار الأرض والشام وغيرها، ولم يعهد للجاهل تقلُّب في الأسفار إلى مواطنهم، ولم يعمر عمرًا طويلًا يمكنه من التنقيب فهؤلاء أهل فترة أيضًا.

ومنهم: من لم يشرك ولا دخل في شريعة ولا ابتكر لنفسه شريعة، بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله فهؤلاء أهل فترة أيضًا وفي الجاهلية من كان كذلك.

ومنهم: من بدّل وغير وأشرك ولم يؤمن، وشرع لنفسه، وحلّل وحرّم، وهم أكثر العرب اتبعوا عمرو بن لحي أول من سنّ للعرب عبادة الأصنام، وشرع لهم الضلالات، وأدخل في التلبية ما ليس منها، وزاد بعضهم عليه من بعده ضلالاً من عبادة الجنّ والملائكة ووآد البنات واتّخاذ بيوت جعلوا لها سدنةً وحجاباً.

ومنهم: من بلغته دعوة أحد من الأنبياء السابقين، ثم أصرّ على كفره فهو في النار قطعاً بلا نزاع.

ولزيادة الفائدة ننقل لكم ما نقله الحافظ المحدث عبد الله الهري رضي الله عنه وأرضاه في كتابه بغية الطالب في بيان أن والدي الرسول ناجيان فقال ما نصه^(١):

«قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه «والدا الرسول ما ماتا كافرين» لكن بعض النساخ حرّفوا فكتبوا ماتا كافرين وهذا غلط شنيع^(٢). نحن لا نقول ماتا كافرين إذ لا مانع من أن يكونا ألهما الإيمان بالله فعاشا مؤمنين لا يعبدان الوثن.

(١) بغية الطالب، الحافظ الهري (١/١٧٨).

(٢) بين الشيخ زاهد الكوثري أن علياً القاري اعتمد في القول بعدم نجاة الأبوين على عبارة وقعت في الفقه الأكبر لأبي حنيفة تفيد ذلك قال: «وهو مخطئ فإن نسخ الفقه الأكبر المعتمدة فيها تصريح أبي حنيفة بنجاة الأبوين»؛ الفوائد المقصودة في بيان الأحاديث الشاذة المردودة (ص ٩٦).

أما حديث «إنَّ أبي وأباك في النَّار» فهو حديثٌ معلولٌ^(١) وإن أخرجهُ مسلم^(٢).

في مسلم أحاديثٌ انتقدَها بعضُ المحدثين وهذا الحديث منها. وأما حديث «إن الرسول ﷺ مكثَ عند قبر أمِّه فأطال وبكى فقبل له: يا رسول الله رأيناك أطلتَ عند قبرِ أمِّك وبكيتَ فقال: «إني استأذنتُ ربِّي في زيارتها فأذن لي وطلبتُ أن أستغفر لها فمنعني» فهذا الحديث أيضًا في مسلم^(٣) وهذا الحديث مؤولٌ بأن يقال إنما منعه من أن يستغفرَ لها حتى لا يلتبس الأمر على الناس الذين ماتوا أبابؤهم وأمهاتهم على عبادة الوثن فيستغفروا لأبائهم وأمهاتهم المشركين لا لأنَّ أمَّ الرسول ﷺ كانت كافرةً، وهكذا يردُّ على الذين أخذوا بظاهر الحديث فقالوا إنَّ والدَةَ الرسول ﷺ مُشركةٌ لذلك ما أُذن له بأن يستغفرَ لها، والدليل على أنَّ أمَّه كانت مؤمنةً أنها لما ولدته أضاء نورٌ حتى أبصرت قصور الشام وبين مكة والشام مسافةً بعيدةً، رأت قصور بصرى وبُصرى هذه من مدن الشام القديمة وهي تُعدُّ من أرض حوران مما يلي الأردن. فأمه عليه السلام رأت بهذا

(١) انظر الحاوي للسيوطي (٢/ ٣٩٢ - ٣٩٦).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه.

النور الذي خرج منها لما ولدته قصور بصرى وهذا الحديث ثابتٌ رواه الحافظ ابن حجر في الأمالي وحسنه^(١)، ورؤية ءامنة لقصور بصرى يُعدُّ كرامةً لها لأن هذا خارق للعادة.

وليعلم أن البخاري ضعف حديثين من أحاديث مسلم، قاله الحافظ ابن حجر^(٢).

ثم على فرضٍ أنهما لم يكونا مسلمين فهما من أهل الفترة وأهل الفترة الذين ما بلغتهم دعوة الأنبياء السابقين لا يُعذبون في الآخرة قال الله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء]، وعلى هذا جمهور العلماء الأشاعرة وغيرهم.

(١) الأمالي على ابن الحاجب (ص ١٠٢).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١ / ٣٩٨).

الفصل الثالث

استدلال بعض العلماء على نجاة والدَي الرسول ﷺ

بما روي من إحيائهما

ذهب كثير من حُفَاطِ المَحَدِّثِينَ وغيرهم كابن شاهين والحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي والسهيلي والقرطبي والمحب الطبري وناصر الدين بن المنير وغيرهم إلى أن الله أحيا له ﷺ أبويه فأما به، واستدلوا لذلك بحديث ضعيف أسند عن عائشة رضي الله عنها قالت: حجَّ بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع فمرَّ بي على عقبة بالحجون، وهو باكٍ حزين مغتم، فقام فمكث طويلاً، ثم عاد إليّ وهو فرح متبسّم، فقلت له في ذلك، فقال: «ذهبت لقبر أُمِّي فسألْتُ الله أن يحييها فأحيها فأمنت بي وردها الله»، أي إلى القبر.

وهذا الحديث ضعيفٌ باتِّفاقِ المَحَدِّثِينَ، ولا حاجة إلى الاحتجاج به لأن أبويه ﷺ بالكتاب والسنة الثابتة ثبت أنهما ناجيان كما تقدم بيانه، وإن ثبت إحيائهما وإيمانهما به ﷺ بعد الإحياء، فذلك يوجب تشريفهما بتجديد إيمانهما على يده ﷺ ومبايعتهما له عليه السلام^(١).

(١) وهذا رأي السيوطي رحمه الله. انظر الحاوي للفتاوي (٢/ ٢٧٧).

الباب الثاني

الفصل الأول

رد قول القائلين بعدم نجاة الأبوين

أخرج ابن عساكر في تاريخه قال: كان رجل من كتاب الشام مأموناً عندهم (أي بني أمية)، استعمل رجلاً على كورة الشام، وكان أبوه من المانوية - وهي طائفة من المجوس -، فبلغ عمر بن عبد العزيز ذلك، فقال: ما حملك على أن تستعمل رجلاً على كورة من كور المسلمين كان أبوه يزن بالمانوية؟ قال: أصلح الله أمير المؤمنين وما عليّ، كان أبو النبي ﷺ مشركاً، فقال عمر: آه ثم سكت ثم رفع رأسه فقال: أأقطع لسانه؟ أأقطع يده ورجله؟ أأضرب عنقه؟ ثم قال: لا تلي لي شيئاً ما بقيت^(١).

ونبتت نابتة في هذه الأيام تكثر من الطعن واللمز في أبويّ المصطفى ﷺ، وكأنّ ذلك ركن لا يتم الإسلام إلّا به، ردّدوا عن أب المصطفى ما رواه مسلم عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله: أين

(١) وهذا تهديدٌ ووعيدٌ من الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لمن احتج بزعمه بقصة هذا المجوسي على كفر والد رسول الله ﷺ.

أبي؟ قال: «في النار». فلما قفى دعاه قال: «إن أبي وأباك في النار». قال السيوطي: «لفظ «أبي وأباك في النار» لم يتفق على ذكرها الرواة، وإنما ذكرها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وهي الطريق التي رواه مسلم بها».

وقال الحاكم في «المدخل»: «ما خرّج مسلم لحماد في الأصول إلا من حديثه عن ثابت وقد خرج له في الشواهد عن طائفة. وأما معمر فلم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه واتفق على التّخريج له الشيخان فكان لفظه أثبت».

ثم وجدنا الحديث ورد عن حديث سعد بن أبي وقاص بمثل لفظ: رواية معمر عن ثابت عن أنس، فأخرج البزار والطبراني والبيهقي من طريق إبراهيم بن سعد الزهري، عن عامر بن سعد، عن أبيه أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ: أين أبي؟ قال: «في النار»^(١)، قال: فأين أبوك؟ قال: «حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار»^(٢)، وهذا إسناد على شرط الشيخين فتعيّن الاعتماد على هذا اللفظ، وتقديمه على غيره.

وقد زاد الطبراني والبيهقي في آخره قال: «فأسلم الأعرابي بعد، فقال: لقد كلّفني رسول الله ﷺ تعباً، ما مررت بقبر كافر إلا بَشَّرته بالنار».

(١) المعجم الكبير للطبراني (١/١٤٥).

(٢) المصدر نفسه، (١/١٤٥).

وقد أخرج ابن ماجه من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّ أبي كان يَصِلُ الرَّحْمَ، وكان... فأين هو؟ قال: «في النار»^(١)، فكأنه وجد من ذلك فقال: يا رسول الله فأين أبوك؟ قال رسول الله ﷺ: «حيثما مررت بقبر مشرك فبشِّره بالنار»^(٢). قال: فأسلم الأعرابي بعد. قال: لقد كلَّفني رسول الله ﷺ تعبًا ما مررت بقبر كافر إلا بشِّرته بالنار.

فهذه الزيادة أوضحت بلا شك أنَّ هذا اللَّفْظ العام هو الَّذي صَدَرَ منه ﷺ وراه الأعرابي بعد إسلامه أمرًا مقتضيًا للامتثال فلم يسعه إلا امتثاله.

ولو كان الجواب باللَّفْظ الأوَّل لم يكن فيه أمر بشيء ألبتة فعلم أن هذا اللَّفْظ من تصرُّف الرَّاوي رواه بالمعنى على حسب فهمه.

وقد وقع في «الصحيحين» روايات كثيرة من هذا النمط فيها لفظ تصرُّف فيه الرَّاوي، وغيره أثبت منه كحديث مسلم عن أنس في نفي قراءة البسملة، وقد أعلَّه الإمام الشَّافعي بذلك وقال: إن الثَّابت من طريق آخر نفي سماعها ففهم منه الرَّاوي نفي قراءتها فرواه بالمعنى على ما فهمه فأخطأ.

(١) سنن ابن ماجه للقزويني (١/٥٠٠).

(٢) المصدر نفسه، (١/٥٠٠).

ثم لو فرض اتفاق الرواة على اللفظ الأوّل كان معارضاً بما تقدم من الأدلّة القرآنيّة والأحاديث. والحديث الصّحيح إذا عارضته أدلّة أخرى هي أرجح منه وجب تأويله وتقديم تلك الأدلّة عليه كما هو مقرّر في الأصول.

ثم قال السيوطي^(١): وأخرج الحاكم في «المستدرک» وصححه عن لقيط بن عامر أنّه خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ فقام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً فذكر الحديث إلى أن قال: فقلت يا رسول الله: هل أحد ممن قضى منّا في جاهليّة من خير؟ فقال رجل من عرض قريش: إن أباك المنافق في النار فكأنه وقع حر بين جلد وجهي ولحمي، مما قال لأبي على رؤوس الناس، فهممت أن أقول: وأبوك يا رسول الله، ثم نظرت فإذا الأخرى أجمل، فقلت: وأهلك يا رسول الله؟ فقال: «ما أتيت عليه من قبر قرشي أو عامري مشرك، فقل: أرسلني إليك محمد فأبشر بما يسوؤك».

قال السيوطي: «وهذه رواية لا إشكال فيها وهي أوضح الروايات وأبينها».

وربّما أوّل جماعة رواية: «أبي وأباك» بأن المراد عمّه أبو طالب لما كان شائعاً بين قريش قولهم قل لابنك أن يرجع عن شتم ءابائنا.

(١) الحاوي للفتاوي للسيوطي (ص ٢٧٤).

وردّوا عن أمّ المصطفى ﷺ ما رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ استأذن في الاستغفار لأمّه فلم يؤذن له.

وقد جاء عن عائشة رضي الله عنها كما ذكرنا أنها قالت: حج بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع فمرّ بعقبة الحجون وهو بالك حزين مغتم فنزل فمكث عني طويلاً ثم عاد إليّ وهو فرح مبتسم، فقلت له في ذلك. فقال: ذهبت لقبر أمي فسألت الله أن يحييها فأمنت بي وردّها إليه.

أقول: قد تقدّم أنّه لا حاجة إلى الاحتجاج بحديث عائشة عن إسلام أبويه لثبوت إسلامهما كما تقدّم بيانه في المسلكين السابقين ونحن إنّما سقنا الحديث هنا لما فيه أن الزيارة والاستئذان كانا في حجة الوداع.

ومعلوم أيضاً أن النهي عن الاستغفار للمشرّكين وعن القيام على قبر مشرك كان من قبل حجة الوداع التي حصل فيها الاستئذان، كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴿١١٣﴾ [سورة التوبة]، وكما قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نُقَمِّ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾ [سورة التوبة].

ورسول الله ﷺ لا يطلب الأمر الذي نهى عنه ولا يرتكب ما نهاه عنه ربّه، وهو طلب استئذانه للاستغفار لها واستئذانه لزيارتها

إنّما هو لأنّه صحّت طهارتها عن دنس التلّوث بالشّرك ودليل على إسلامها وعدم موتها على الشّرك وعدم الإذن له في الاستغفار لها لا يدل على أنّ الاستغفار لها غير مقبول أبدًا إذ يجوز أن يؤذن في وقت ولا يؤذن في وقت فيؤخّر إلى مجيء الوقت المعين فيستجاب عند مجيئه كما قالت عائشة أنّه ﷺ نزل إلى الحجون ثم عاد مسرورًا.

كما أنّ عدم الإذن بالاستغفار لها لا يقتضي أنّها من أهل النار أو يقتضي شركها، لأنّ هذا الاحتمال معارض بما هو أرجح منه وهو ما سبق في المسلكين من أدلّة قرآنيّة وأحاديث.

فتعيّن لهذا تأويل الحديث بأنّه كان يطلب إحياءهما ليتشرّفا بصحبته ﷺ بالإيمان به، فلم يؤذن له؛ لأنّه مأمور بدعوة الأحياء إلى الإيمان لا بدعوة الأموات، أو لأنّه طلب الإذن بالاستغفار من غير وحي إلهي، فلم يؤذن له لأن الأولى به ﷺ أن يقف عند وحي ربه أو أن الغاية من طلبه الاستغفار لهما هو الدعاء برفع درجاتهما ولم يكن الوقت قد جاء بعد.

وما روي أنّه ﷺ قال: «ليت شعري ما فعل أبواي»، فنزلت: ﴿وَلَا تَسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [سورة البقرة]، فهذا لم يخرج في شيء من كتب الحديث وإنّما ذكر في بعض التّفاسير بسند منقطع، لا يحتج به ولا يعوّل عليه.

والثّابت في «الصّحيحين» أنّها نزلت في أبي طالب.

ثم إن هذا السبب لا يعول عليه أيضاً، وذلك أنّ الآيات من قبل هذه الآية ومن بعدها كلّها في اليهود من قوله تعالى ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ ﴿٤٠﴾ [سورة البقرة] إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ ﴿١٢٤﴾ [سورة البقرة]، ولهذا اختتمت القصّة بمثل ما صدرت به وهو قوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٢٢﴾ [سورة البقرة]، الآيتين. فتبيّن أنّ المراد بأصحاب الجحيم كفّار مكّة، وقد ورد ذلك مصرّحاً به في أثر أخرجه عبد بن حميد والفريايبي وابن جرير وابن المنذر في تفاسيرهم عن مجاهد قال: من أول البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين، وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين، ومن أربعين آية إلى عشرين ومائة في بني إسرائيل. إسناده صحيح.

ومما يؤكّد ذلك أنّ السّورة مدنيّة وأكثر ما خوطب فيها اليهود ويرشّح ذلك من حيث المناسبة أنّ الجحيم اسم لما عظم من النّار كما هو مقتضى اللّغة والآثار، فاللائق بهذه المنزلة من عظم كفره وعاند عند الدّعوة وبدل وحرف وجحد.

وما روي من حديث أنّه ﷺ استغفر لأُمَّه فَضْرَبَ جبريل في صدره وقال: لا تستغفر لمن مات مشرّكاً وأنّه نزل فيها: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١١٣﴾ [سورة التوبة]، فإنّ البزار أخرجه بسند فيه من لا يعرف، وحديث نزول

الآية في ذلك ضعيف أيضًا، والثابت في «الصّحيحين» أنّها نزلت في أبي طالب وقوله ﷺ: «لأستغفرنّ لك ما لم أنه عنك».

وما روي من حديث أنّه ﷺ قال لابني مليكة: «أمّكما في النّار»، فشقّ عليهما فدعاهما فقال: «إنّ أمي مع أمّكما»، فضعّفه الدّارقطني^(١) وغيره.

وغالب ما يُروى عن أمّ النبي ﷺ ضعيف ولم يصح في أمّ النبي ﷺ إلاّ حديث مسلم عن أبي هريرة، وقد عرفت الجواب عنه، ولم يصح أيضًا في أبيه إلاّ حديث مسلم أيضًا، وقد تقدّم الجواب عنه أيضًا.

ولا دلالة في تلك الأحاديث على وقوع الشّرك من أبويه فكيف على موتهما عليه كما زعم البعض.

وليحذر مما ذكره المجسم ابن تيمية في كتابه المسمى «منهاج السنة النبوية» ما نصه^(٢): «ومن جهل الرافضة أنّهم يعظمون أنساب الأنبياء وءاباءهم وأبناءهم.. فيقولون^(٣) أو من يقول منهم إنّ أبا إبراهيم كان مؤمنًا وإنّ أبوي النبي ﷺ كانا مؤمنين حتى لا يقولوا إنّ النبي يكون أبوه كافرًا» والعياذ باللّهِ من سفاهة السفهاء. وقد ردّ على

(١) انظر الحاوي للفتاوي للسيوطي (ص ٢٧٢).

(٢) الكتاب المسمى منهاج السنة النبوية (٤/٣٥٠).

(٣) هنا يريد ابن تيمية تحقير كلام من يقول بإيمان والدي الرسول والعياذ باللّهِ.

قوله هذا الدكتور اليماني الفخراني في كتابه النزعة التكفيرية في فكر الوهابية ما نصه^(١): «والقول بنجاة أبي النبي ﷺ ليس مقتصرًا على الشيعة، فجمهور أهل السنة يقولون بنجاتهما» اهـ.

(١) النزعة التكفيرية في فكر الوهابية للدكتور اليماني مكتبة مدبولي، القاهرة، (ص ٤٤).

الفصل الثاني

فائدة^(١) عظيمة النفع وفيها بيان تضعيف الحفاظ والعلماء لحديث «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ»

روى مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعاة ولا تنفعه قرابة المقرّبين^(٢):
حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبّة: حدّثنا عَقَان: حدّثنا حَمَاد بن سلمة عن ثابتٍ عن أنسٍ أنّ رجلاً قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: «في النَّار»، فلَمَّا قَفَى دعاه فقال: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّار».

قال الحافظ جلال الدين السيوطي في رسائله في «نجاه والدي النبي ﷺ» في الرسالة الثانية «التعظيم والمنة في أن أبوي النبي ﷺ في الجنة»^(٣): فصل: ظهر لي في حديث: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّار»، علتان؛ إحداهما: من حيث الإسناد، وذلك أن الحديث أخرجه مسلم وأبو داود من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس: أن

(١) لطائف التنبهات للمصنف، الطبعة الأولى، دار المشاريع، بيروت (ص ١٤٧ - ١٥٠).

(٢) كتاب الإيمان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ (ص ١٠٠ رقم الحديث ٢٠٣).

(٣) التعظيم والمنة في أن أبوي النبي ﷺ في الجنة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ (ص ٩٨ - ٩٩).

رجلاً قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: «في النار». فلما قَفَى، دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار». وهذا الحديث تفرد به مسلم عن البخاري، وفي أفراد مسلم أحاديث مُتَكَلِّمٌ فيها، ولا شك أن يكون هذا منها.

أما أولاً: فثابتٌ وإن كان إماماً ثقة، فقد ذَكَرَهُ ابن عدي في (كامله) في الضعفاء وقال: إنه وقع في أحاديثه نكرة، وذلك من الرواية عنه، فإنه روى عنه الضعفاء. وأورده الذهبي في الميزان.

وأما ثانياً: فَحَمَّادُ بن سَلَمَةَ وإن كان إماماً عابداً عالمًا، فقد تَكَلَّمَ جماعة في روايته، وسكت البخاري عنه، فلم يخرج له شيئاً في صحيحه.

وقال الذهبي: حماد ثقة، له أوهام وله مناكير كثيرة وكان لا يحفظ، فكانوا يقولون: إنها دُسَّت في كتبه، وقد قيل: إن ابن أبي العرجاء كان ربيبهُ وكان يدس في كتبه» ثم قال: فَبَانَ بهذا: أن الحديث المتنازع فيه لا بدع أن يكون منكراً، وقد وُصِفَتْ أحاديث كثيرة في مسلم بأنها منكراً» اهـ.

وقال السيد أحمد السايح الحسيني في كتابه «نشر الأعطار ونشر الأزهار في نجاة آباء النبي الأطهار»^(١): يشير الناظم إلى الحديث

(١) نشر الأعطار ونشر الأزهار في نجاة آباء النبي الأطهار، دار جوامع الكلم - القاهرة (ص ١٢٤).

الذي يأخذ بظاهره القاصرون وهو ما رواه مسلم عن أنس أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبي؟ فقال: «إن أبي وأباك في النار».

وقال^(١): وذكر أبو نعيم في الحلية: أن عمر بن عبد العزيز غضب على كاتبه وعزله من جميع دواوينه لأنه سمع منه ما هو من هذا الباب»، وقال^(٢): «أما حديث رد النبي ﷺ على من سأله قائلًا: إن أبي وأباك في النار، فإنما هو من رواية حماد بن سلمة، وهو معارض بحديث معمر بن راشد كلاهما أي (حماد ومعمر) عن ثابت»، ثم قال: «وعند العلماء أن معمرًا أثبت من حماد، لأن حمادًا في أحاديثه مناكير شتى، وقد تكلم علماء الرجال في حفظه، فهو مجروح متهم، ولم يخرج له البخاري ومسلم في الأصول إلا من روايته عن ثابت»، ثم قال: «وهكذا يسقط حديث حماد علميًا واصطلاحيًا، كسقوطه أدبيًا وذوقيًا، فليس عليه من نور النبوة أو البلاغة المحمدية شيء» اهـ. أما حديث «إنَّ أبي وأباك في النَّار» فهو حديثٌ معلولٌ وإن أخرجهُ مسلم. ففي مسلم أحاديثٌ انتقدَها بعضُ المحدثين وهذا الحديث منها. وأما حديث «إنَّ الرسولَ مكثَ عند قبر أمِّه فأطال وبكى فقبل له: يا رسول الله رأيناك أطلتَ عند قبرِ أمِّك وبكيتَ فقال: «إني استأذنتُ ربِّي في زيارتها فأذن لي وطلبتُ أن أستغفر لها فمَنعني» هذا الحديث أيضًا في مسلم، وهذا الحديث مؤول

(١) نشر الأقطار ونثر الأزهار في نجاة آباء النبي الأطهار (ص ١٢٩).

(٢) المصدر نفسه، (ص ١٣٤).

بأن يقال إنما منعه من أن يستغفر لها حتى لا يلتبس الأمر على الناس الذين مات أبائهم وأمهاتهم على عبادة الوثن فيستغفروا لأبائهم وأمهاتهم المشركين، لا لأن أم الرسول كانت كافرة، وهكذا يُردُّ على الذين أخذوا بظاهر الحديث فقالوا إنّ والدَةَ الرسولِ مُشركَةٌ لذلك ما أُذِنَ له بأن يستغفر لها، والدليل على أنّ أمّه كانت مؤمنةً أنها لما ولدته أضاء نوراً حتى أبصرت قصورَ الشام، وبين المدينة والشام مسافةً بعيدةً، رأت قصورَ بُصرى، وبُصرى هذه من مدُن الشام القديمة، وهي تُعدُّ من أرضِ حورانِ مما يلي الأردن. فأمه عليه السلام رأت بهذا النور الذي خرج منها لما ولدته قصورَ بُصرى، وهذا الحديثُ ثابتٌ رواه الحافظ ابنُ حجرٍ في الأملِيّ وحسنه، وروايةُ ءامنة لقصورِ بُصرى يُعدُّ كرامةً لها لأن هذا خارق للعادة» اهـ.

وقد نقل ابن كثير عن القرطبي أنه قال: «وقد ذكرنا في التذكرة أن الله أحيا أبويه حتى ءامنا به، وأجبنا عن قوله: إن أبي وأباك في النار».

وقال السندي: «وفي رواية مسلم عن أنس أنه قال له «إنَّ أبي وأباك في النار» قال السيوطي وإنما ذكرها حماد بن مسلمة عن ثابت وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكره ولكن قال: «إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار» ولا دلالة في هذا اللفظ على حال الوالد وهو أثبت فإنَّ معمرًا أثبت من حماد فإنَّ حمادًا تكلم في حفظه ووقع في أحاديثه

مناكير ولم يخرج له البخاري ولا خرج له مسلم في الأصول إلا من روايته عن ثابت وأما معمر فلم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أثبت، ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبي وقاص بمثل لفظ معمر عن ثابت عن أنس أخرجه البزار والطبراني والبيهقي وكذا من حديث ابن عمر رواه ابن ماجه فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره فعلم أن رواية مسلم من تصرف الرواة بالمعنى على حسب فهمه على أنه لو صحَّ يحمل فيه الأب على العم ولهذا قال السيوطي في حاشية الكتاب: هذا أي سنن ابن ماجه من محاسن الأجوبة أنه لما وجد الأعرابي في نفسه لطفه النبي ﷺ وعدل إلى جواب عام في كلِّ مشرك ولم يتعرض إلى الجواب عن والده ﷺ بنفي ولا إثبات وقال ولم يعرف لوالده ﷺ حالة شرك مع صغر سنه جدًا فإنه توفي وهو ابن ست عشرة سنة وقد روي أن الله تعالى أحيا للنبي ﷺ والديه حتى ءامنا به والذي يقطع به أنهما في الجنة ومن أقوى الحجج على ذلك أنهما من أهل الفترة وقد أطبق أئمتنا الشافعية والأشعرية على أن من لم تبلغه الدعوة لا يعذب ويدخل الجنة لقوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ الآية. وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة «ورد من عدة طرق في حق الشيخ الهرم ومن مات في الفترة ومن ولد أكمه أعمى أصم ومن ولد مجنونًا أو طرأ عليه الجنون قبل أن يبلغ ونحو ذلك أن كلاً منهم يأتي بحجة ويقول لو عقلت أو ذكرت لآمنت

فترفع لهم نار ويقال ادخلوها فمن دخلها كانت له بردًا وسلامًا ومن امتنع أدخلها كرهًا ونحن نرجو أن يدخل عبد المطلب وءال بيته في جملة من يدخلها طائعا إلا أبا طالب» اهـ. وكأنَّ المصنّف أخذ الترجمة من لفظ حيثما «مررت بقبر مشرك» لأنّه نوع من الزيارة وفيه تأمل وفي الزوائد إسناده هذا الحديث صحيح والله أعلم»^(١) اهـ.

وقال الصالحي: «روى مسلم من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «في النار». فلما قفى دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار». قال الشيخ رحمه الله تعالى^(٢) في مسالك الحنفا في والدي المصطفى: قوله: «إن أبي وأباك في النار» لم يتفق عليه الرواة، وإنما ذكره حماد بن سلمة، عن ثابت. وقد خالفه معمر عن ثابت، فلم يذكر: إن أبي وأباك في النار. ولكن قال له: «إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار»^(٣) اهـ.

وقال السيوطي: «قوله إن أبي وأباك في النار» لم يتفق على ذكرها الرواة وإنما ذكرها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وهي الطريق التي رواه مسلم منها وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكر أن أبي

(١) حاشية السندي على ابن ماجه (٣/٣٤٨).

(٢) وهنا يظهر احتجاج قول الصالحي بما قاله السيوطي رحمه الله.

(٣) سبل الهدى والرشاد للصالحي (١/٢٤٧).

وأباك في النار ولكن قال له: «إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار». وهذا اللفظ لا دلالة فيه على أنّ والده ﷺ كافر ألبته وهو أثبت من حيث الرواية فإن معمرًا أثبت من حماد فإن حمادًا تكلم في حفظه ووقع في أحاديثه مناكير ذكروا أن ريبه دسها في كتبه وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم فيها ومن ثم لم يخرج له البخاري شيئًا ولا خرج له مسلم في الأصول إلا من روايته عن ثابت قال الحاكم في المدخل ما خرج مسلم لحماد في الأصول إلا من حديثه عن ثابت وقد خرج له في الشواهد عن طائفة وأما معمر فلم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أثبت، ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبي وقاص بمثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن أنس»^(١) اهـ.

وقال القسطلاني: «وسئل القاضى أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية عن رجل قال: إن أبا النبي ﷺ فى النار، فأجاب: من قال ذلك فهو ملعون، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، قال ابن العربي: ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه إنه فى النار»^(٢) اهـ.

وأكد السيوطي فى رسالته الثانية: «التعظيم والمنة فى أن أبوي

(١) الحاوي للفتاوى، السيوطي (٣/ ٣٣٥).

(٢) مسلك الحنفا، القسطلاني (٢/ ١٣١).

الرسول في الجنة» على الحديث الوارد في إحياء أم النبي ﷺ من قسم الضعيف الذي يتسامح بروايته في الفضائل خصوصاً في مثل هذا الموطن، ثم ذكر ما يدل على حنيفة السيدة ءامنة بنت وهب^(١).

وليحذر هنا من بعض ما دس على أبي حنيفة رضي الله عنه من مقولة: إن والدَي النبي ﷺ ماتا على الكفر، فهذا كلام باطل لا أصل له، واعتقادنا الجازم أنه ليس من كلام الإمام العظيم أبي حنيفة والعياذ بالله، فإن وجد هذا الكلام منسوباً لأبي حنيفة في إحدى النسخ فالجواب أن يقال إن هذا الكلام مدسوس من بعض النساخ، وهيهات لأبي حنيفة أن يقول مثل هذا الكلام، ولدينا النسخة المخطوطة الأصلية للفقهاء الأكبر من المكتبة السلمانية في منطقة اسطنبول التركية، ففي هذه النسخة لا نجد أن الإمام العظيم تطرق إلى مثل هذا الكلام، وكل ما وجدناه في هذا المبحث من أن عم الرسول أبا طالب مات على الكفر وليس أبوي الرسول صلوات ربي وسلامه عليه. ولزيادة الدليل على أن الإمام الكبير لم يقل هذا، ما وجدناه في شرح الفقه الأكبر لأبي منصور محمد بن محمد الحنفي السمرقندي المعروف بالماتريدي^(٢)، فهو أقرب المحققين وأقرب شراح الفقه الأكبر من الإمام العظيم، ولُقّب بالحنفي لاتباعه

(١) التعظيم والمنة، السيوطي (ص ٧٨، ٩٥-٩٧).

(٢) انظر: السمرقندي، شرح الفقه الأكبر، الهند - حيدرآباد: طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ذو الحجة ١٣٢١ هـ.

مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه. ومما يؤكد عدم قول الإمام بهذه العبارة أن نسخة متن الفقه الأكبر التي حققها المحدث الشيخ محمد زاهد بن حسن زاهد الكوثري ليس فيها شيء من هذا القبيل بالمرّة، وهو من المشهورين المعروفين في قوة الاطلاع على النسخ المخطوطة والتنقيب والبحث عن النسخ العديدة المتنوعة، ومع ذلك فإنه لم يتعرض لما نُسبَ إلى الإمام أبي حنيفة من موت والدي النبي على الكفر، لا بالتصريح ولا بالتلميح، فليتنبه لذلك^(١).

(١) انظر: الكوثري، العقيدة وعلم الكلام، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٤م.

الفصل الثالث

فائدة عظيمة

تدل على إيمان عبد الله والد رسول الله ﷺ
من حديث رسول الله ﷺ

روى الحافظ النسائي في عمل اليوم والليلة بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه أن أناسًا قالوا لرسول الله ﷺ: يا خيرنا وابن خيرنا ويا سيدنا وابن سيدنا، فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان، إني لا أريد أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلنيها الله تعالى، أنا محمد عبده ورسوله»^(١).

وليس في هذا الحديث النهي عن إطلاق لفظ السيد على رسول الله ﷺ، إذ قد ثبت بالدليل الشرعي أنه سيد الأولين والآخرين، قال عليه الصلاة والسلام: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»^(٢)، إنما فيه النهي عن الغلو وعن رفعه ﷺ فوق منزلته. فلو كان في كلامهم

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (١٠/٥٢)، والسيوطي في جامع الأحاديث (٢٣/١٧٥). ورواه البيهقي بلفظ «ولا يستجرينكم الشيطان» في شعب الإيمان (٤/٢٦٦)، وابن حبان بلفظ «ولا يستفزكم الشيطان» في صحيحه (١٤/١٣٣).

(٢) رواه الترمذي في الجامع الصحيح (٥/١٩١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/١٧٨)، وأحمد في مسنده (٩/٩)، والسيوطي في جامع الأحاديث (٧/٢٤).

ما يخالف شرعه وهديه ﷺ لنهاهم عن عبارتهم تلك، والتي فيها «سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا»، لكن المنهي عنه أن يقال للمنافق «سيدنا».

فقد روى النسائي في عمل اليوم والليلة في باب النهي عن أن يقال للمنافق سيدنا بسنده إلى عبد الله بن بريدة عن أبيه أن نبي الله ﷺ قال: «لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم»^(١).

وفي قوله عليه الصلاة والسلام لهم: «يا أيها الناس عليكم بقولكم»^(٢) دليل على جواز هذا القول، كأنه قال لهم: قولوا بهذا ولا تبالغوا، أي لا بأس بقولكم هذا، لكن لا تزيدوا من العبارات التي فيها غلو، إنما كما قال عليه الصلاة والسلام: «أنزلوا الناس منازلهم»^(٣).

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١/٢٦٧)، والنسائي في سننه (٦/٦٠)، وأبو داود في سننه (٤/٤٨٧)، وأحمد في مسنده (٦/١٩٤)، والبيهقي بلفظ «لا تقولوا للمنافق سيدنا..» في شعبه (٤/٢٩)، والسيوطي في جامع الأحاديث (١٦/٢٧٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه أبو داود في سننه (٢/٦٧٧)، والبيهقي في الآداب (١/٢٣)، والسيوطي في جامع الأحاديث (٣٠/٢٤٠) وغيرهم.

وفي هذا إشارة إلى جواز أن يقال عن عبد الله والد رسول الله ﷺ «سيدنا وخيرنا»، فلو كان كافرًا لنهاهم عن هذا القول وأنكره ويبيّن أن تعظيم الكافر حرام، فرحم الله والدي رسول الله ﷺ.

الباب الثالث

الفصل الأول

ذكر ما جاء في كتاب السبل الجليلة في الآباء العلية

قال السيوطي في كتابه «السبل الجليلة في الآباء العلية» ما نصه:
هذا سادس مؤلف ألفته في مسألة والدَي رسول الله ﷺ اللذين
يقال في حقهما: إنهما ناجيان، ومحكوم لهما في الآخرة بالنجاة
ودخول الجنة، كما ذهب إليه جمع من الأئمة، ثم اختلفوا في توجيه
ذلك على سبل:

السبل الأول:

إنهما لم تبلغهما الدعوة، لأنهما كانا في زمن الجاهلية التي عمّ فيها
الجهل طبق الأرض، وفقد فيها من يبلغ الدعوة على وجهها، وخصوصًا
وقد ماتا في حداثة السن، فإن والده ﷺ صحح الحافظ صلاح الدين
العلائي أنه عاش من العمر نحو ثماني عشرة سنة ووالدته ماتت في
حدود العشرين تقريبًا، ومثل هذا العمر لا يسع الفحص عن المطلوب
في مثل ذلك الزمان، وحكم من لم تبلغه الدعوة: أنه يموت ناجيًا
ولا يعذب ويدخل الجنة، هذا مذهبنا لا خلاف بين أئمتنا
الشافعية في الفقه والأشاعرة في الأصول، وقد نصّ على ذلك

إمامنا الإمام الشافعي رضي الله عنه في «الأم» و «المختصر» وتبعه سائر الأصحاب، فلم يشدّ أحد منهم بخلاف، واستدلوا على ذلك بآيات منها: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ﴿١٥﴾ [سورة الإسراء].

وهذه مسألة فقهية مقررة في كتب الفقه، وهي فرع من فروع قاعدة أصولية متفق عليها عند أئمتنا الأشاعرة، وهي قاعدة «شكر النعم» وأنه واجب بالسمع لا بالعقل، وهذه القاعدة - أعني قاعدة: «شكر النعم» - مرجعها إلى قاعدة كلامية، وهي قاعدة: «التحسين والتقبيح العقليين»، وإنكارهما - أي التحسين والتقبيح العقليين - متفق عليه من الأشاعرة، كما هو معروف في كتب الكلام والأصول، وقد أطنب الأئمة في تقرير هاتين القاعدتين والاستدلال عليهما، والجواب عن حجج المخالفين إطنابًا عظيمًا، خصوصًا إمام الحرمين في «البرهان» والغزالي في «المستصفى» و«المنخول»، وإلكيا الهراسي في «تعليقه»، والإمام فخر الدين الرازي في «المحصول» وابن السمعاني في «القواطع» والقاضي أبو بكر الباقلاني في «التقريب» وغيرهم من أئمة لا يحصون كثرة.

ثم اختلفت عبارات الأصحاب فيمن لم تبلغه الدعوة، فأحسنها من قال: «إنه ناج»، وإياها اختار السبكي، ومنهم من قال: «على الفترة».

وقد مشى على هذا السبيل في والدَي رسول الله ﷺ قوم من العلماء، فصرّحوا بأنهما لم تبلغهما الدعوة، حكاه عنهم سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان» وغيره، ومشى عليه الأبيّ في «شرح مسلم»، وكان شيخنا شيخ الإسلام شرف الدين المناوي يعول عليه، ويجيب به إذا سئل عنهما.

السبيل الثاني:

إنهما من أهل الفترة:

وأحاديث الامتحان كثيرة، والمصحح منها ثلاثة:

الأول: حديث عن الأسود بن سريع، وأبي هريرة رضي الله عنهما مرفوعاً، أخرجه أحمد في مسنده وصححه البيهقي في كتاب الاعتقاد.

والثاني: حديث أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً وله حكم الرفع لأن مثله لا يقال من قبل الرأي، أخرجه: عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر في «تفاسيرهم»، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

والثالث: حديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعاً، أخرجه: البزار والحاكم في المستدرک وقال: صحيح على شرط الشيخين.

وحديث رابع: أخرجه البزار، وابن أبي حاتم في «تفسيره» عن

أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا، وابن أبي حاتم أيضًا عنه موقوفًا وله حكم الرفع، وفي سنده عطية العوفي وفيه ضعف إلا أن الترمذي يحسن حديثه وخصوصًا إذا كان له شاهد وهذا له عدة شواهد كما ترى.

وحديث خامس: أخرجه البزار وأبو يعلى من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا وسنده ضعيف.

وحديث سادس: أخرجه الطبراني وأبو نعيم عن معاذ بن جبل مرفوعًا وسنده ضعيف.

والعمدة على الثلاثة الأولى الصحيحة.

وهذا السبيل نقل حافظ العصر أبو الفضل بن حجر عن بعضهم أنه مشى عليه فيما نحن فيه، ثم قال: «والظن بأبائه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كلهم الذين ماتوا في الفترة، أن يطيعوا عند الامتحان لتقر بهم عينه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»^(١).

وأخرج الحاكم^(٢) وصححه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سئل عن أبويه فقال: «ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما وإني لقاتم يومئذ المقام المحمود»^(٣). فهذا تلويح بأنه يرتجي أن يشفع

(١) وهذا على قول ابن حجر وكلامه عمّن كانوا من أهل الفترة.

(٢) المستدرک للحاکم (٢/٣٩٦).

(٣) المستدرک على الصحيحين للنيسابوري، تفسير سورة بني إسرائيل (٢/٣٩٦).

لهما في ذلك المقام، ليوافقا للطاعة عند الامتحان.

وينضم إلى ذلك: ما أخرجه أبو سعيد في شرف النبوة وغيره عن عمران بن حصين رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي أن لا يدخل النار أحدًا من أهل بيتي، فأعطاني ذلك»^(١)، أورده المحبّ الطبري في كتابه «الذخائر العقبى».

وما أخرجه ابن جرير في «تفسيره» عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [سورة الضحى]، قال: «من رضا محمد ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار»^(٢).

فهذه الأحاديث يشد بعضها بعضًا، لأن الحديث الضعيف إذا كثرت طرقه أفاده ذلك قوة كما تقرر في علوم الحديث، وأمثلها حديث ابن مسعود رضي الله عنه، فإن الحاكم قد صححه.

وقد ورد أن أبا هريرة رضي الله عنه راوي حديث أهل الفترة، استدلّ في آخره بالآية التي استدل بها الأئمة على انتفاء التعذيب قبل البعثة.

وعلى هذين السبيلين، فالجواب عن الأحاديث الواردة في الأبوين بما يخالف ذلك: أنها وردت قبل ورود الآيات والأحاديث المشار

(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير (٣/٣٦).

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني (٨/١٧)، وجامع البيان للطبري (٢٦/٣١٨)، والدر المنثور للسيوطي (٨/٥٤٢).

إليها فيما تقدّم، كما أجيب عن الأحاديث الواردة في أطفال المشركين أنهم في النار قبل ورود قوله تعالى: ﴿وَلَا نَزْرُ وَأَزْرَةٌ وَنَزْرُ أُخْرَى﴾ وسائر الأحاديث المخالفة لتلك.

وقال بعض الأئمة المالكية في الجواب عن تلك الأحاديث الواردة في الأبوين: «إنهما أخبارٌ أحادٍ فلا تعارض القاطع»، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥) ونحوها من الآيات في معناها.

وقال بعض أهل العلم: «إنهما كانا على الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام، كما كان زيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه في الجاهلية».

وقد وجدت أدلةً قويةً ما بين عامٍ وخاصٍ في هذا الموضوع: فالعام مركب من مقدمتين: إحداهما: أنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن كلَّ جدٍّ من أجداده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير أهل قرنه^(١) كحديث البخاري: «بعثت من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت فيه»^(٢).

والثانية: أنه قد ثبت أنّ الأرض لم تخل من سبعة مسلمين فصاعدًا يدفع الله بهم عن أهل الأرض، أخرج عبد الرزاق في

(١) ليس معناه أن كل فرد من أجداده كان مؤمنًا بل هو من حيث الإجمال.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣/ ١٣٠٥).

«المصنف» وابن المنذر في «التفسير» بسند صحيح على شرط الشيخين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لم يزل على وجه الأرض في الدهر سبعة مسلمون فصاعدًا، فلولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها».

وأخرج الإمام أحمد في «الزهد»^(١)، والخلال في «كرامات الأولياء» بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما خلت الأرض من بعد نوح عليه السلام من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض».

وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين، أنتج ما قاله الإمام، لأنه إذا كان كل جدّ من أجداده من جملة السبعة المذكورين في زمانه^(٢)، فهو المدعى، وإن كانوا غيرهم لزم أحد الأمرين: إما أن يكون غيرهم خيرًا منهم، وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح، وإما أن يكونوا خيرًا وهم على الشرك، وهذا باطل بالإجماع، وفي التنزيل: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ﴾^(٣)، فثبت أنهم على التوحيد ليكونوا خير أهل الأرض كل في زمانه.

وأما الخاص: فأخرج ابن سعد في «الطبقات»^(٣) عن ابن عباس

(١) انظر الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٢٦٤).

(٢) وهذا على سبيل الإجمال وليس لكل فرد منهم.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ١٧).

رضي الله عنهما قال: «ما بين نوح إلى آدم عليه السلام من الآباء كانوا على الإسلام».

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر والبخاري في «مسنده»^(١) والحاكم في المستدرک وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان بين آدم ونوح عليه السلام عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين، قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله رضي الله عنه: كان الناس أمة واحدة فاختلفوا. ا.هـ

وفي التنزيل حكاية عن نوح عليه السلام ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ [سورة نوح]، وسام^(٢) بن نوح مؤمن بنص القرءان والإجماع، بل ورد في أثر أنه نبي، وولده أرفخشذ صرح بإيمانه في أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه ابن عبد الحكم في «تاريخ مصر» وفيه: «أدرك جده نوحًا عليه السلام ودعا له أن يجعل الله الملك والنبوة في ولده». ا.هـ

وروى ابن سعد في الطبقات من طريق الكلبي^(٣): «أن الناس ما زالوا ببابل وهم على الإسلام من عهد نوح عليه السلام إلى أن ملكهم نمرود، فدعاهم نمرود إلى عبادة الأوثان»، وفي عهد نمرود

(١) انظر الأسماء والصفات للبيهقي (١/٤٦٨).

(٢) أبناء نوح حام وسام ويافث كانوا مسلمين وابنه كنعان مات كافرًا.

(٣) انظر تاريخ الطبري (١/١٤٣).

كان إبراهيم عليه السلام وآزر.

وأما ذرية إبراهيم عليه السلام فقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الزخرف].

أخرج عبد بن حميد عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [٢٨]، قالوا: «لا إله إلا الله باقية في عقب إبراهيم عليه السلام».

وأخرج عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [٢٨]، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد، لا يزال في ذريته من يقولها من بعده»، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [٣٥] [سورة إبراهيم].

وأخرج ابن أبي حاتم^(١) عن سفيان بن عيينة أنه سئل: هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام؟

قال: «لا، ألم تسمع قوله: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [٣٥] [سورة إبراهيم].

قيل: فكيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم؟

قال: «لأنه دعا لأهل هذا البلد أن لا يعبدوا الأصنام إذا أسكنهم

(١) انظر شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١/٣٢٨).

إياه فقال اجعل هذا البلد آمناً، ولم يدع لجميع البلدان بذلك، فقال: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٣٥)، وقد خصَّ أهله وقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ (٣٧) [سورة إبراهيم].

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ (٤٠) [سورة إبراهيم]، قال: «فلن يزال من ذرية إبراهيم عليه السلام ناس على الفطرة يعبدون الله».

وقد صحت الأحاديث في البخاري وغيره، وتضافرت نصوص العلماء بأن العرب من عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام وهم على دينه لم يكفر أحد منهم إلى عهد عمرو بن عامر الخزاعي وهو الذي يقال له: عمرو بن لحي وهو أول من عبد الأصنام وحرّف دين إبراهيم عليه السلام.

قال الشهرستاني في الملل والنحل: «كان دين إبراهيم قائماً والتوحيد شائعاً في صدر العرب وأول من غيرَه ووضع عبادة الأصنام عمرو بن لحي».

وقال السهيلي في الروض الأنف^(١): «كان عمرو بن لحي حين غلبت الخزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة قد جعلته

(١) الروض الأنف للسهيلي (١/ ٢١١).

العرب^(١) ربًّا لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة».

قال: «وقد ذكر ابن إسحاق أنه أول من أدخل الأصنام الحرم، وحمل الناس على عبادتها، وكانت التلبية من عهد إبراهيم عليه السلام: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك، حتى كان عمرو بن لحي فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال عمرو: لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ: إلا شريكًا هو لك».

فأنكر ذلك عمرو وقال: وما هذا؟ فقال الشيخ: قل تملكه وما ملك، فإنه لا بأس بهذا.

فقالها عمرو، فدانت بها العرب. انتهى كلام السهيلي. وكان عمرو ابن لحي قريبًا من زمن كنانة جد النبي ﷺ.

وقد أخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملّة إبراهيم عليه السلام، فلا تذكروهم إلا بخير».

(١) ومراده بالعرب أي الذين اتبعوه.

الفصل الثاني

ذكر ما جاء في كتاب التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله ﷺ في الجنة

قال صاحب^(١) هذه الرسالة:

الكلام في أن أمه ﷺ كانت موحدة:

هذا كله فيما يتعلق بإحيائها وقد ظفرت بأثر يدل على أنها ماتت وهي موحدة أخرج أبو نعيم في «دلائل النبوة» من طريق الزهري عن أم سماعة - بنت أبي رهم - عن أمها قالت شهدت ءامنة أم رسول الله ﷺ في علتها التي ماتت فيها، ومحمد ﷺ غلام يافع^(٢) له ست سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت:

بارك فيك اللّهُ من غلام يا ابن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعم فودى غداة الضرب بالسهام
بمائة من إبلٍ سوام إن صحَّ ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام من عند ذي الجلال والإكرام

(١) وهو السيوطي أيضًا.

(٢) قال الرازي في مختار الصحاح (١/ ٧٤٥): «اليفاع ما ارتفع من الأرض وأيفع الغلام أي ارتفع فهو يافع ولا يقال موفع وهو من النوادر» اهـ.

تبعث في الحل وفي الحرام تبعث بالتحقيق والإسلام

ثم قالت رضي الله عنها «كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كثير يفنى. وأنا ميتة وذكرى باق وقد تركت خيرًا. وولدت طهرًا». ثم ماتت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك:

نبكي الفتاة البرّة الأمانة ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبد الله والقرينة أمّ نبي الله ذي السكينة
وصاحب المنبر في المدينة صارت لدى حفرتها رهينة

هذا القول من أم النبي ﷺ صريح في أنها موحدة:

• إذ ذكرت دين إبراهيم.

• وبعث ابنها ﷺ بالإسلام من عند ذي الجلال والإكرام.

• ونهيه عن عبادة الأصنام ومولاتها مع الأقوام، وهل التوحيد شيء غير هذا التوحيد والاعتراف بالله وألوهيته وأنه لا شريك له والبراءة من عبادة الأصنام ونحوها؟.

الجمع بين عدم الإذن بالاستغفار لأمه وكونها موحدة:

وأما حديث عدم الإذن في الاستغفار فلا يلزم منه الكفر بدليل

أنه ﷺ كان ممنوعاً في أول الإسلام من الصلاة على من عليه دين^(١) لم يترك له وفاء، ومن الاستغفار له وهو من المسلمين وعلل ذلك بأن استغفاره مجاب على الفور فمن استغفر له وصل عقب دعائه إلى منزله الكريم في الجنة والمديون محبوس عن مقامه حتى يقضى دينه كما في الحديث: «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى»، فتكون أم النبي ﷺ اقتضت أن لا يؤذن له في الاستغفار لها إلى أن أذن الله فيه بعد ذلك.

ويحتمل أن يجاب عن الحديثين بأنها كانت موحدة غير أنها لم يبلغها شأن البعث والنشور وذلك أصل كبير فأحياها الله تعالى له حتى ءامنت بالبعث وبجميع ما في شريعته ولذلك تأخر إحيائها إلى حجة الوداع حتى تمت الشريعة^(٢) ونزل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٣) فأحييت حتى ءامنت بجميع ما أنزل عليه وهذا معنى نفيس بليغ.

في مذهب أهل السنة فيمن هو قبل الدعوة:

قال أهل الأصول قاطبة^(٣): «شكر المنعم ليس بواجب عقلاً

(١) وهذا ليس لكفره أو فسقه لأنه قد يكون تقياً واستدان لغرض شرعي وكان ناوياً أن يردّ قبل أن يموت ولكن عاجله الأجل ولم يُصلّ الرسول ﷺ على بعضهم تنفيراً للناس من أن يقترضوا لغير حاجة وهم عاجزون عن الوفاء.

(٢) أي تمت قواعد الدين وأصول الشريعة.

(٣) انظر الإبهاج في شرح المنهاج لتقي الدين السبكي (١/٢١٢)، والحاوي للفتاوي للسيوطي (٣/٣٠١).

خلافًا للمعتزلة»، قال إلكيا الهراسي وغيره: «المراد بشكر المنعم امتثال الأوامر واجتناب النواهي من الكفر وغيره».

أقول^(١) ومعنى هذا الكلام أن الأحكام من وجوبٍ ومشروعيةٍ وكرهيةٍ وتحريمٍ وإباحةٍ كلها تُعلم عند أهل السنة بالشرع لا بالعقل، فالعقل وحده لا يستطيع أن يتوصل لمعرفة هذه الأمور، ويتعلق معرفتها بالسمع.

وقال ابن السبكي في «شرح مختصر ابن الحاجب» ما نصه: «وذهب بعض أصحابنا إلى موافقة المعتزلة كابن شريح والسيرفي والقفال الكبير وابن أبي هريرة والقاضي أبو بكر الباقلاني في التقريب والأستاذ أبي إسحاق في أصوله والشيخ أبي محمد الجويني (وهؤلاء الفقهاء والعلماء لا يريدون ولا يقولون بما تقوله المعتزلة من أن العقل هو الأصل وبه يُعرف الحسن والقبيح ولكنهم يقولون بأن العقل السليم شاهدٌ لصحة ما جاء به الشرع، فالشرع هو الأصل والعقل شاهده) في شرح الرسالة عمن وافق المعتزلة من أصحابنا بأنهم لم تكن لهم قدم راسخة في الكلام وربما طالعوا كتب المعتزلة فاستحسنوا هذه العبارة وهي شكر المنعم واجب عقلاً فذهبوا إليها غافلين من تشعبها عن أصول القدرية مع علمنا بأنهم ما انتحوا مسالكهم وما اتبعوا مقاصدهم»، قال ابن السبكي: «وهو كلام حق

(١) المصنف.

بالنسبة إلى من عدا القفال الكبير أما القفال فكان إمامًا في الكلام مقدمًا إلا أنه كان أول أمره معتزليًا فقال هذه المقالة ثم لما رجع عن الاعتزال لا بد أن يكون رجع عن ذلك».

قال ابن السبكي: «وعلى مسألة شكر المنعم تتخرج مسألة من لم تبلغه الدعوة فعندنا يموت ناجيًا ولا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام». وهو صريح في نجاته وأنه لا يدخل النار وأنه يدخل الجنة مع كونه لا يسمى مسلمًا.

بيان أن حديث مسلم معلول بعلتين:

يقول الحافظ السيوطي رحمه الله: ظهر لي في حديث «إن أبي وأباك في النار» علتان.

«إحدهما» من حيث الإسناد وذلك أن الحديث أخرجه مسلم وأبو داود من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبي قال في النار فلما قفي دعاه فقال إن أبي وأباك في النار، وهذا الحديث تفرد به مسلم عن البخاري وفي أفراد مسلم أحاديث تُكلم فيها وهذا منها.

«الأول» فثابت وإن كان إمامًا ثقة فقد ذكره ابن عدي في كامله في الضعفاء وقال إنه وقع في أحاديثه نكرة وذلك من الرواة عنه فإنه روى عنه الضعفاء وأورده الذهبي في الميزان.

«الثاني» فحماد بن سلمة وإن كان إمامًا عابدًا عالمًا فقد تكلم جماعة في روايته وسكت البخاري عنه فلم يخرج له شيئًا في صحيحه.

وقال الحاكم في المدخل^(١): «ما أخرج مسلم لحماد بن سلمة في الأصول إلا حديثًا عن ثابت وقد خرج له مسلم في الشواهد عن طائفة».

وقال الذهبي^(٢): «حماد ثقة له أوهام وله مناكير كثيرة وكان لا يحفظ فكانوا يقولون إنها دست في كتبه وقد قيل إن ابن أبي العوجاء كان ربيبه وكان يدس في كتبه».

ومن مناكير ما رواه عن ثابت عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قرأ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾^(١٤٣). قال: أخرج طرف خنصره وضرب على إبهامه فساخ الجبل، هذا الحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال إنه لا يثبت وإنه مما دسه ربيبه عليه والمناكير في رواية حماد كثيرة.

وإنما أوردت هذا لأنه بسند الحديث الذي نحن في تعليقه ومن أنكر رواياته ما رواه عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله

(١) قول الحاكم والبيهقي من تهذيب ابن حجر (١/٤٨٢). انظر سنن البيهقي (٩٤/٤).

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي (١/٥٩٠-٥٩٥).

تعالى عنهما مرفوعًا رأيت ربي جعدًا أمرد عليه خضر، وهذا أيضًا
أورده ابن الجوزي في الموضوعات.

فبان بهذا أن الحديث المتنازع فيه لا بد أن يكون منكراً.

وقد وضح لنا من ذلك طريق آخر للحديث رواه معمر عن ثابت
فلم يذكر «أبي وأباك في النار» وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده
ﷺ بأمره ألبتة وهو أثبت من حيث الرواية فإن معمرًا لم يتكلم في
حفظه ولا استنكر شيئًا من حديثه واتفق على التخريج له الشيخان
فكان لفظه أثبت ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبي
وقاص بمثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن أنس فقد أخرج البزار
في مسنده^(١) والطبراني^(٢) في المعجم الكبير بسند رجاله رجال
الصحيح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أن أعرابياً أتى
النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «في النار»، قال فأين
أبوك؟ قال: «حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار»، وهذا حديث
صحيح وفيه فوائد.

منها: بيان أن السائل كان أعرابياً وهو مظنة خشية الفتنة والردة.
فبان بهذا تعليل الحديث من هذه الحثية ولا يكون ذلك قد

(١) مسند البزار (١/٩٦).

(٢) المعجم الكبير للطبراني (١٧/٨١).

حافى^(١) صحة الحديث من أصله بل في هذا اللفظ فقط وكذلك حديث: «أمي مع أمكما»، على ضعف إسناده لا يلزم منه كونها في النار لجواز أن يكون أراد بالمعية كونها معها في دار البرزخ أو غير ذلك تورية وإيهامًا تطييبًا لقلوبهما.

إشكال وجوابه في حديث إن أب السائل في النار:

«فإن قلت» قد تقرر أن أهل الفترة لا يقضى عليهم بكونهم في النار فكيف حكم النبي ﷺ على أب السائل بأنه في النار. «قلت» ظهر لي عن ذلك أربعة أجوبة:

الأول: أن هذا الحديث متقدم على الأحاديث الواردة في أهل الفترة فيكون منسوخًا بها كما أخبر أولًا عن أطفال المشركين بأنهم في النار ثم نسخ ذلك.

الثاني: أنا لم نقطع بعدم النار في أهل الفترة بل قلنا يمتحنون فمن أطاع دخل الجنة ومن لا دخل النار، فيمكن أن يكون النبي ﷺ أطلع في حق هذا بخصوصه على أنه يعصي عند الامتحان فيدخل النار وأوحى إليه بذلك فحكم بأنه من أهل النار.

الثالث: أنه يمكن في هذا الرجل أن يكون ممن دخل يشرب والشام واجتمع بأهل الكتاب وبلغته دعوة موسى وعيسى وأصر على الشرك فلم يعذر.

(١) أي نازع.

الرابع: أنه يمكن أن يكون عاش حتى أدرك بعثة النبي ﷺ وبلغه ذلك وأصرّ ومات في عهده وهذا لا عذر له ألبتة.

«فإن قلت» فأبوا النبي ﷺ قد دخلا يثرب واجتمعا باليهود فلزمهما ما قلت في الجواب الثالث.

«قلت» الجواب عنهما من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه يحتاج إلى ثبوت أن اليهود دعوهما إلى الدين وهذا لم ينقل فنحكم عليهما خصوصاً أنهما لم يقيما بالمدينة إلا أياماً قلائل لا تسع ذلك. أما عبد الله فإنه مرّ بها في سفره إلى الشام ورجع فدخلها وهو مريض فأقام بها شهراً مريضاً ومات وهذه المدة مع المرض لا تسع اجتماعاً بأحد ولا سؤالاً عن دين وأما ءامنة فقدمت المدينة زائرة لأقاربها فأقامت بها أيضاً شهراً ومعها النبي ﷺ فرجعت فماتت بالطريق.

الثاني: أن نقول أي مانع من أن يكون قد دعيا إلى الدين فأجابا وإن لم ينقل الأمران وكيف ينسب إليهما الامتناع وقد بشرا من أهل الكتاب والكهانة وغيرهم بنبوة ولدتهما قبل ولادته وصدقا بذلك وبشرا به وبشرت به أمه قبل ولادته وعند ولادته وصدقت بذلك وقالت الأبيات السابقة عند موتها وهل ينسب إليها الشرك وقد أخبرت عن ولدها أنه يبعث رسولاً عن الله بالتوحيد وكسر الأصنام وصدقت بذلك وهل الإسلام شيء غير هذا التصديق.

الثالث: أنا ندعي أنهما كانا من أول أمرهما على الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام وأنهما لم يعبدا صنماً قط وسنقرر ذلك قريباً بأدلة.

أخرج ابن جرير في تفسيره^(١) عن مجاهد في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٣٥)، قال: «فاستجاب الله لإبراهيم عليه السلام دعوته».

وأخرج ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن ابن جريج في قوله تعالى ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾^(٤٠)، قال: «فلا يزال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى».

«قلت» ويمكن أن يحمل على ذلك قوله تعالى ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجِدِينَ﴾^(٦٩)، فقد أخرج ابن سعد في «الطبقات» والبخاري والطبراني وأبو نعيم في «الدلائل» عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجِدِينَ﴾^(٦٩)، قال: «من نبي إلى نبي ومن نبي إلى نبي حتى أخرجتك نبياً». ففسر تقلبه في الساجدين بتقلبه في أصلاب الأنبياء عليهم السلام ويمكن أن يحمل على أعم منهم وهم المصلون الذين لا زالوا في ذرية إبراهيم لو صح أنه ليس في أجداد النبي ﷺ أنبياء بكثرة بل إسماعيل وإبراهيم

(١) جامع البيان، الطبري (٧/٣٣٨).

ونوح وشيث وءادم وإدريس عليهم السلام في قول».

في أن ءاباءه^(١) عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من خير القرون:

ومما يدل على ذلك أيضًا قوله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ «بعثت من خير قرون بني ءادم قرنًا فقرنًا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه»، أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وقوله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشًا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»^(٢) أخرجه مسلم من حديث واثلة بن الأسقع فالخيرية والاصطفاء يشعران بالإسلام.

وطريقة أخرى في الاستدلال أخرج الإمام أحمد في «الزهد» والخلال في «كرامات الأولياء»^(٣) بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض».

وأخرج ابن جرير في تفسيره^(٤) عن شهر بن حوشب قال «لم تبق

(١) ومراده بعض ءابائه وأجداده.

(٢) صحيح مسلم للنيسابوري، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي وتسلم الحجر عليه (٧/٥٨).

(٣) انظر الدر المنثور، السيوطي (١/٧٦٥).

(٤) انظر جامع البيان، الطبري (٨/٢٧٠)، وتفسير السراج المنير، الشربيني (٢/٢١٠).

الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض وتخرج
بركتها إلا زمن إبراهيم فإنه كان وحده».

وأخرج أحمد في «الزهد»^(١) عن كعب قال: «لم يزل بعد نوح في
الأرض أربعة عشر يدفع بهم العذاب».

وأخرج الخلال في «كرامات الأولياء» عن زاذان قال: «ما خلت
الأرض بعد نوح من اثني عشر فصاعدًا يدفع الله بهم عن أهل
الأرض».

وهذه الآثار مع أثر ابن جريج السابق في «أنه مازال من ذرية
إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله» تدل على أن أكثر أجداد النبي
ﷺ كانوا على الحنيفية من زمن إبراهيم عليه السلام.

وقد أخرج البيهقي في «دلائل النبوة»^(٢) عن أنس رضي الله
عنه أن النبي ﷺ قال: «ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله
في خيرهما فأخرجت من بين أبوي ولم يصبني شيء من عهر
الجاهلية وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم
حتى انتهيت إلى أبي وأمي فأنا خيركم نفسًا وخيركم أبا»^(٣).

(١) انظر الدر المنثور، السيوطي (٢/٢٦٥).

(٢) دلائل النبوة، البيهقي (١/٩٦)، والجامع الصغير، السيوطي (١/٤١٢).

(٣) المصدر نفسه، (١/٩٦).

وأخرج أبو نعيم في «دلائل النبوة»^(١) من طرق عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يلتق أبواي على سفاح لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفًى مهذبًا لا تنشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما».

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خير العرب مضر وخير مضر بنو عبد مناف وخير بني عبد مناف بنو هاشم وخير بني هاشم بنو عبد المطلب والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت في خيرهما»^(٢)، والأحاديث في المعنى كثيرة. انتهى كلام السيوطي.

(١) انظر جامع الأحاديث، السيوطي (١٥/٤١٢).

(٢) انظر جامع الأحاديث، السيوطي (٨/٤٨٧).

الفصل الثالث

ذكر ما جاء في كتاب آثار النبي ﷺ

وللدكتور خالد مصطفى مقالاً في نجاة والدَي الرسول ﷺ، ذكر في كتابه آثار النبي ^(١) ﷺ ما نصه: هي السيدة الكريمة العفيفة الطاهرة التي تشرفت بحمل سيد الخلق سيدنا محمد ﷺ وهي السيدة ءامنة بنت وهب بنت عبد مناف بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، أبوها وهب سيد بني زهرة، وجدتها لأبيها عاتكة بنت الأوقص إحدى العواتك اللواتي اعتر بهن النبي ﷺ فقال: «أنا ابن العواتك من سليم»^(٢).

وقد روى ابن أبي سعدٍ أن وفاتها رضي الله عنها كانت بالأبواء وهو محل بين مكة والمدينة وهي راجعة به ﷺ وهو ابن ست سنين من المدينة المنورة من زيارة لأخواله أي أخوال جده عبد المطلب لأن أم عبد المطلب من بني عدي بن النجار بالمدينة المنورة بعد أن مكثت عندهم شهراً، وفي طريق عودتها لمكة مرضت بالطريق وتوفيت ودفنت بالأبواء ورجعت به ﷺ حاضنته أم أيمن الحبشية

(١) انظر كتاب آثار النبي ﷺ للدكتور خالد مصطفى. قدم له الشيخ أحمد مساعد مستشار محكمة الاستئناف سابقاً، والأستاذ الدكتور محمد فؤاد شاعر أستاذ الحديث في جامعة قناة السويس - مصر (ص ١٣٢-١٣٩).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ١٩٧)، وانظر معرفة الصحابة لأبي نعيم (١٠/ ٢٣٤).

إلى جده عبد المطلب فكفله.

وروى سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «خرج النبي ﷺ يوماً وخرجنا معه حتى انتهينا إلى المقابر، فأمرنا فجلسنا ثم تخطف القبور حتى انتهى إلى قبرٍ منها فجلس إليه فناهجه طويلاً ثم ارتفع صوته ينتحب باكياً، فبكينا لبكائه ﷺ، ثم إن رسول الله ﷺ أقبل إلينا فتلناه عمر بن الخطاب فقال: ما الذي أبكاك يا رسول الله، فقد أبكنا وأفزعنا، فأخذ بيد عمر ثم أوماً إلينا فأتيناها فقال: «إن القبر الذي رأيتموني أناجيه قبر أمي ءامنة بنت وهب، وأني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي»^(١).

لما مر رسول الله ﷺ بالأبواء في عمرة الحديبية قال: إن الله أذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فأتاه وأصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكائه ﷺ، وقيل له في ذلك فقال: «أدركتني رحمتها فبكيت».

وروى الحاكم أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، فقال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نورٌ أضاءت له بصري من أرض الشام»^(٢).

(١) انظر تاريخ المدينة للنميري (١/١١٨).

(٢) رواه الحاكم في المستدرک (٢/٦٠٠).

روى ابن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «رأت أُمِّي حين وضعتني
سطع منها نورٌ أضاءت له قصور بصرى»^(١).

وفي رواية أخرى: «لما خرج من بطني نظرت إليه، فإذا هو
ساجد قد رفع أصبعيه كالمتضرع المبتهل»^(٢).

روى ابن حبان رحمه الله عن السيدة حليلة رضي الله عنها
عن السيدة ءامنة أم النبي ﷺ أنها قالت: «إن لابني هذا شأنًا، إني
حملت به فلم أجد حملًا قط كان أخف عليّ ولا أعظم منه بركة»^(٣).

(١) رواه السيوطي في جامع الأحاديث (٤ / ١٨٤).

(٢) ذكره برهان الدين الحلبي في كتابه السيرة الحلبية (١ / ٨٨ - ٩١).

(٣) السيرة الحلبية للحلبي (١ / ٧٨).

الفصل الرابع

ذكر ما جاء في كتاب إتحاف الحنفا

بنجاة والدي المصطفى ﷺ

يقول صاحب^(١) الرسالة المسماة «إتحاف الحنفا بنجاة والدي المصطفى» ما نصه:

لقد ذهب جمع كثير من الأئمة الأعلام إلى أن والدي النبي ﷺ ناجيان ومحكوم لهما بذلك في الآخرة، وقد اخترت قول الجمهور القائلين بالنجاة لكثرتهم ولأنه أنسب بهذا المقام وهو الأرجح وعليه الاعتماد إن شاء الله تعالى كما هو واضح مما سأذكره من الأدلة.

قال السهيلي في الروض الأنف ما نصه^(٢): «وليس لنا بحق أن نقول ذلك في أبويه ﷺ للحديث فيه: قوله ﷺ: «لا تؤذوا الأحياء بسبّ الأموات»، رواه أحمد في مسنده والبخاري في صحيحه، وللاية الكريمة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾.»

وذكر الحافظ الشامي في سيرته سبل الهدى ما نصه: «وسئل القاضي أبو بكر بن العربي المعافري المالكي عن رجل قال: إن أبا

(١) هو محمد حسين عرار الحسني.

(٢) الروض الأنف للسهيلي (١/١١٣).

النبي ﷺ في النار، فأجاب: بأن من قال ذلك فهو ملعون».

إن من مات قبل بعثة الرسول ﷺ لا تعذيب له، على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيًا، قال الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَّذَلَ وَنُخْزَىٰ﴾ (١٣٤)، وقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا﴾ (٥٩) وقوله تعالى ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ (٢٠٨) ذَكَرْنَا وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٠٩)، وقوله تعالى ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧).

وقد نقل سبط ابن الجوزي في كتابه مرآة الزمان كلام جده ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي عن جماعة حيث قال: «والدعوة لم تبلغ أباه وأمه فما ذنبهما».

كما ذكر أن الشيخ شرف الدين المناوي أنه سئل عن والد النبي ﷺ هل هو في النار فزار السائل زارة شديدة وقال: «لا تعذيب قبل البعثة» وكان يعول عليه^(١).

وقد مشى على هذا السبيل في والدي النبي ﷺ جل العلماء فصرحوا بأنهما لم تبلغهما الدعوة منهم: أبو عبد الله الأبي في كتابه

(١) الحاوي للفتاوي للسيوطي (ص ٢٤٥).

شرح صحيح مسلم وغيره من المتقدمين والمتأخرين.
وقد نصّ الشافعي في الأم وفي المختصر على نجاه والدَي الرسول
وتبعه سائر الأصحاب ولم يشذّ أحد منهم بخلاف.

الفصل الخامس

نقول ومؤلفات حول موضوع

نجاة والدي الرسول ﷺ

نذكر هنا بعض النقول والأقوال التي تناولت موضوع نجاة والدي الرسول ﷺ:

١- الإمام العظيم أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه (ت ١٥٠ هـ):
قال شيخ الإسلام مصطفى صبري في مقدمته لكتاب الشيخ مصطفى أبو سيف الحمامي - رحمهما الله تعالى «النهضة الإصلاحية للأسرة الإسلامية» طبع بمطبعة مصطفى الباوي الحلبي وأولاده سنة ١٣٥٤ هـ ما نصه: «فصادفت المقالة التي تبرئ الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه عن تكفير والدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتصحح ما كتب في النسخ (للفقه الأكبر) المنسوب إلى الإمام من لفظ (ماتا على الكفر) بما رآه فضيلته بعينيه في المدينة المنورة من نسخة ضمن مجموع مخطوطة ترجع كتابتها إلى عهد بعيد بمكتبة عارف حكمت بك أحد مشايخ الإسلام في الدولة العثمانية من لفظ (ماتا على الفطرة) وهو الأوفق بسياق كلام الإمام، فشكرت فضيلة المؤلف على توثيق ذلك التصحيح الذي سمعناه من أفواه بعض الأساتذة بهذا الضبط» اهـ.

وقال الكوثري في مقدمته لكتاب «العالم والمتعلم»^(١) ما نصه: «وفي مكتبة شيخ الإسلام العلامة عارف حكمت بالمدينة المنورة نسختان من الفقه الأكبر رواية حماد قديمتان وصحیحتان فیا لیت بعض الطابعین قام بإعادة طبع الفقه الأكبر من هاتین النسختین مع المقابلة بنسخ دار الکتب المصریة» اهـ.

ففي بعض تلك النسخ: وأبو النبي ﷺ ماتا على الفطرة - و(الفطرة) سهلة التحريف إلى (الكفر) في الخط الكوفي، وفي أكثرها: «ما ماتا على الكفر»، كأن الإمام العظيم يريد به الرد على من يروي حديث (أبي وأبوك في النار) ويرى كونهما من أهل النار لأن إنزال المرء في النار لا يكون إلا بدليل يقيني وهذا الموضوع ليس بموضوع عملي حتى يكتفى فيه بالدليل الظني.

ويقول الحافظ محمد المرتضى الزبيدي شارح الإحياء والقاموس في رسالته «الانتصار لوالدي النبي المختار» ما نصه: «- وكنت رأيته بخطه عند شيخنا أحمد بن مصطفى العمري الحلبي مفتي العسكر العالم المعمر - ما معناه: إن الناسخ لما رأى تكرر (ما) في (ما ماتا) ظن أن إحداهما زائدة فحذفها فذاعت نسخته الخاطئة، ومن الدليل على ذلك سياق الخبر لأن أبا طالب والأبوين لو كانوا جميعاً على حالة واحدة لجمع الثلاثة في الحكم بجمله واحدة لا

(١) العالم والمتعلم للكوثري (ص ٧).

بجملتين مع عدم التخالف بينهم في الحكم، وعلق الكوثري وهذا رأي وجيه من الحافظ الزبيدي إلا أنه لم يكن رأى النسخة التي فيها (ما ماتا) وإنما حكى ذلك عن رءاها، وإني بحمد الله رأيت لفظ (ما ماتا) في نسختين بدار الكتب المصرية قديمتين، كما رأى بعض أصدقائي لفظي (ما ماتا) و (على الفطرة) في نسختين قديمتين بمكتبة شيخ الإسلام المذكورة» اهـ.

وقال الشيخ مصطفى أبو سيف الحمامي في «النهضة الإصلاحية للأسرة الإسلامية» ما نصه: «هذا الذي رأيته أنا بعيني في الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، رأيته بنسخة بمكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام» اهـ. وترجع كتابة تلك النسخة إلى عهد بعيد حتى قال بعض العارفين هناك أنها كتبت في زمن العباسيين وهذه النسخة ضمن مجموعة رقمها ٢٢٠ من قسم المجاميع بتلك المكتبة، فمن أراد أن يرى هذه النسخة من الفقه الأكبر بعينه فعليه بتلك المكتبة وهو يجدها هناك بهذا النص الذي نقلناه هنا.

٢- الإمام ابن شاهين (ت ٣٨٥ هـ): أشار إلى ذلك في كتابه «الناسخ والمنسوخ» حيث أورد حديث الزيارة والنهي عن الاستغفار وجعله منسوخا كما نص السيوطي في «الدرج المنيفة

في الآباء الشريفة»^(١).

٣- الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي (ت ٥٤٣ هـ): حيث يقول السيوطي عنه: «نقلت بخط الشيخ كمال الدين الشمني والد شيخنا الإمام تقي الدين رحمهما الله تعالى ما نصه: سئل القاضي أبو بكر ابن العربي عن رجل قال: إن أبا النبي ﷺ في النار، فأجاب بأنه ملعون، لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾» اهـ.

٤- الإمام السهيلي (ت ٥٨١ هـ): قال الإمام أبو القاسم السهيلي رحمه الله: «ليس لنا أن نقول إن أبوى النبي ﷺ في النار لقوله عليه السلام «لا تؤذوا الأحياء بسبِّ الأموات» والله تعالى يقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية، يعني يدخل التعامل المذكور في اللعنة الآتية ولا يجوز القول في الأنبياء عليهم السلام بشيء يؤدي إلى العيب والنقصان ولا فيما يتعلق بهم»^(٢) اهـ.

كما نص السيوطي: «وكذلك في تفسير إسماعيل حقي في

(١) الدرر المنيفة في الآباء الشريفة للسيوطي (ص ٩٠).

(٢) وهذا فيما يؤدي إلى إيذائهم، وليس من إيذائهم أن يقال إن أزر مات كافراً بدليل قوله تعالى إخباراً عن إبراهيم وأبيه أزر: ﴿فَلَمَّا بَيْنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾. ومعنى يؤذون الله أي يكفرون به ويعصونه والله منزه عن حقيقة التأذي.

تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ﴾ (٥٧) (١) اهـ.

٥- سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ): ذكر في كتاب: «مرءة» ما
نصه: «والدعوة لم تبلغ أباه وأمه، فما ذنبهما؟» (٢) اهـ.

٦- الحافظ محمد القرطبي (ت ٦٧١ هـ): ذكر في كتابه: «إن
فضل النبي ﷺ وخصائصه لم تزل تتوالى وتتتابع إلى مماته ﷺ،
فيكون هذا مما فضله الله تعالى به وأكرمه، وليس إحيائهما
وإيمانهما به ممتنعاً عقلاً، ولا شرعاً..» (٣) اهـ.

وأكمل قائلاً ما نصه: «ليس إحيائهما وإيمانهما بممتنع عقلاً
ولا شرعاً، فقد ورد في الكتاب إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره
بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يحيى الموتى، وكذلك نبينا ﷺ أحياء
الله تعالى على يديه جماعة من الموتى» اهـ.

٧- الحافظ ابن سيد الناس (ت ٧٣٤ هـ): قال في سيرته: «رُوي
أن عبد الله بن عبد المطلب وءامنة بنت وهب أبوي النبي ﷺ
الله تعالى أحيهما له فأمننا به وروي ذلك أيضاً في حق جده
عبد المطلب ثم قال وهو مخالف لما أخرجه أحمد عن أبي رزين

(١) الدرج المنيفة في الآباء الشريفة (ص ٩٠).

(٢) مسالك الحنفا للقسطلاني (ص ١٤).

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (ص ١٤).

العقيلي قال: قلت يا رسول الله أين أمي؟ فقال: «أمك في النار»، قلت فأين من مضى من أهلك، قال: «أما ترضى أن تكون أمك مع أمي»، ثم قال: وذكر أهل العلم في الجمع ما حاصله أن من الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له عليه الصلاة والسلام بعد أن لم تكن، أن يكون الإحياء والإيمان متأخرًا عن ذلك فلا معارضة» انتهى ملخصًا. وذكر ذلك عنه ابن نجيم المصري في كتابه غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر وكذلك نص على بعض أقواله الإمام السيوطي في الدرج المنيفة في الآباء الشريفة^(١).

٨- الإمام تقي الدين السبكي (ت ٧٥٦ هـ): ذكر في كتابه السيف المسلول على من سب الرسول ﷺ ما نصه^(٢): «إن لآعن والد النبي ﷺ ملعون على لسان النبي ﷺ، إذ قد بلغنا عن ربنا أنه قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ الآية، وهو مناقض للتعزيز والتوقير الواجب له، ولا يجوز ذلك مع المسلمين غير النبي ﷺ لما فيه من الإذاية لهم التي هي معصية، فكيف في جانب النبي ﷺ الذي هو كفر» اهـ.

(١) الدرج المنيفة للسيوطي (ص ٩٠).

(٢) السيف المسلول على من سب الرسول ﷺ للسبكي، دار الفتح عمان، (ص ٥٨٤).

٩- الحافظ زين الدين العراقي (ت ٨٠٦ هـ): في موردته الهني ومولده السني قال ما نصه:

«حفظ الإله كرامةً لمحمدٍ ءاباءه الأمجاذَ صوتًا لاسمه
تركوا السفاح فلم يصبهم عاره من ءادمَ وإلى أبيه وأمه» اهـ.

١٠- الإمام أبو عبد الله محمد بن خليفة الآبي (ت ٨٢٧ هـ): ذكر في شرح مسلم عند شرح حديث: «إن أبي وأباك في النار» أورد قول الإمام النووي فيه أن من مات كافرًا في النار ولا تنفعه قرابة الأقرين اهـ.

ثم قال الآبي: انظر هذا الإطلاق وقد قال السهيلي رحمه الله تعالى: «ليس لنا أن نقول ذلك». فقد قال ﷺ: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات». وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾»، ولعله يصح ما جاء أنه ﷺ أحياء - الله - له أبويه فأمنابه، ورسول الله ﷺ فوق هذا. ولا يعجز الله سبحانه وتعالى شيء. ثم سرد الأدلة وغيرها فليراجع شرح الحديث المذكور^(١) اهـ.

١١- الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي (ت ٨٤٢ هـ): اختار أن الله أحياء الأبوين فأمننا بالرسول، وذلك في كتابه «مورد

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للأبي (١/ ٦١٧).

الصادي في مولد الهادي»، وأنشد:

«حبا لله النبي مزيد فضل على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه لإيمان به فضلا لطيفا
فسلم فالإله بهذا قدير وإن كان الحديث به ضعيفا» اهـ.

١٢- أمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر العسقلاني
(ت ٨٥٢ هـ): قال ما نصه: «الظن بآل بيته عليهم السلام كلهم أن يطيعوا
عند الامتحان، وكذلك ذكر في السيرة الحلبية باب وفاة أمه
وحضانة أم أيمن له وكفالة جده عبد المطلب إياه»^(١) اهـ.

١٣- شيخ الإسلام شرف الدين المناوي (ت ٨٧١ هـ): نقل عنه
السيوطي أنه سئل عن والد النبي عليه السلام: هل هو في النار؟ فزار
السائل زارة شديدة، فقال له السائل: هل ثبت إسلامه؟ فقال:
إنه مات في الفترة، ولا تعذيب قبل البعثة^(٢) اهـ.

١٤- الإمام السيوطي الشافعي (ت ٩١١ هـ): ألف ست رسائل
طبعت بالهند سنة ١٣٣٤ هـ، وهي:
• «مسالك الحنفا في والدَي المصطفى».

(١) الحاوي للفتاوي، السيوطي (٢/٢٠٧).

(٢) مسالك الحنفا، القسطلاني (ص ١٤).

- «الدرج المنيفة في الآباء الشريفة».
- «المقامة السندسية في النسبة المصطفوية».
- «التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة».
- «نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين».
- «السبل الجليلة في الآباء العلية».

١٥- بعض ممن ذكرهم الإمام السيوطي: قال ما نصه: «إن الله أحياهما له، فأما به، وذلك في حجة الوداع، لحديث ورد في ذلك عن عائشة رضي الله عنها - أخرجها الخطيب البغدادي في «السابق واللاحق»، والدارقطني، وابن عساكر، كلاهما في «غرائب مالك»، وابن شاهين في «الناسخ والمنسوخ»، والمحب الطبري في سيرته، وأورده السهيلي في «الروض الأنف» من وجه آخر بلفظ آخر، وإسناده ضعيف، وقد مال إليه هؤلاء الثلاثة مع ضعفه. وهكذا القرطبي، وابن المنير، ونقله ابن سيد الناس عن بعض أهل العلم، وقال به الصلاح الصفدي في نظم له، والحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في أبيات له، وجعلوه ناسخًا لما خالفه من الأحاديث المتأخرة، ولم يبالوا بضعفه، لأن الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل والمناقب، وهذه

منقبة»^(١) اهـ.

١٦- الإمام القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ): قال أبو العباس شهاب الدين القسطلاني ما نصه: «والحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص، فإن ذلك قد يؤذي النبي ﷺ، فإن العرف جار بأنه إذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه، أو وصف وصف به، وذلك الوصف فيه نقص تأذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات»^(٢) رواه الطبراني في الصغير، ولا ريب أن أذاه عليه السلام كفر يقتل فاعله إن لم يتب عندنا»^(٣) اهـ.

١٧- علامة اليمن القاضي محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي (ت ٩٣٠ هـ): كما في كتابه «حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار»^(٤).

١٨- أحمد بن سليمان بن كمال باشا (ت ٩٤٠ هـ) له: «رسالة في أبوي النبي» - منها نسخة في مكتبة الحرم المكي الشريف برقم ٣٨٨١ / ١٣ عقائد وتاريخها ٩٧٣ هـ ومنها نسخ متعددة في

(١) الدرر المنيفة في الأبياء الشريفة للسيوطي (ص ٩٠).

(٢) المعجم الصغير للطبراني (١ / ١٠).

(٣) المواهب اللدنية للقسطلاني (١ / ٣٤٨).

(٤) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار للحضرمي (ص ١١٣).

مكتبات العالم الإسلامي.

١٩- محمد بن قاسم بن يعقوب الأماصي (ت ٩٤٠ هـ) له: «أنباء الاصطفاء في حق اءباء المصطفى» - بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض برقم ٢٤٢٩ / ١. (١)

٢٠- العلامة ابن طولون دمشقي الحنفي (ت ٩٥٣ هـ) له: «منهاج السنة في كون أبوي النبي في الجنة»، ذكره لنفسه في كتابه «الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون» (٢).

٢١- زين العابدين (ت ٩٦٥ هـ): ذكر محمد بن محمد العمري سبط المرصفي في رسالة: «تنزيه الكون عن اعتقاد إسلام فرعون»، ألفها في: جمادى الأولى سنة ٩٦٥ نص فيها على إيمان أبوي النبي ﷺ وهي مخطوط في الأزهر الشريف رقم النسخة: ٣٣٦٠٧٥.

٢٢- الفقيه ابن نجيم الحنفي المصري (ت ٩٧٠ هـ): قال في كتابه «غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر» (٣) «أن الله تعالى أحياهما له ﷺ حتى ءامنا به» اهـ.

٢٣- ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٣ هـ): قال ما نصه: «وحدِيث

(١) الأعلام للزركلي (٦/٧).

(٢) الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون (ص ١٣١).

(٣) غمز عيون البصائر لابن نجيم (ص ١٧).

مسلم: قال رجل يا رسول الله، أين أبي؟ قال: «في النار»، فلما قفا دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار» يتعين تأويله، وأظهر تأويل عندي: أنه أراد بأبيه عمه أبا طالب، لما تقرر أن العرب تسمي العم أبا، وقرينة المجاز في الآية الآتية الشاهدة بخلافه على أصح محاملها عند أهل السنة، وأن عمه هو الذي كفله بعد جده عبد المطلب...»^(١) اهـ.

٢٤- الإمام ابن الجزار المصري (كان حياً سنة ٩٨٤ هـ) له: «تحقيق ءامال الداجين في أن والدَي المصطفى بفضل الله في الدارين من الناجين» - بدار الكتب المصرية، ثلاث نسخ برقم ٤٨٩، ٥٢٨، ٥٣٠ حديث تيمور.

٢٥- ابن الملا شمس الدين الحصكفي الأصل الحلبي الشافعي (ت ١٠١٠ هـ): قال المحبي في «خلاصة الأثر»^(٢)، في تعداد مؤلفاته: و«رسالة حسنة في إسلام أبوي رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم».

٢٦- الفقيه ملا علي القاري (ت ١٠١٤ هـ): يرجع عن تكفير الأبوين مما يتشدد ويحتج به الوهابية كثيراً في كتاب أدلة معتقد أبي حنيفة العظيم في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام،

(١) المنح المكية شرح القصيدة الهمزية لابن حجر الهيتمي (ص ١٠٢).

(٢) خلاصة الأثر للمحبي (٣/ ٣٤٨).

ولردّ على تدليس الوهابية ولا نعلم لماذا يصرون على الكذب والتدليس وإخفاء تراجع علي القاري عن هذا القول قبل وفاته ولماذا ينفقون آلاف الريالات على طبع كتابه الذي يقول فيه بأن أبوي النبي ﷺ في النار بعد أن ثبت تراجع عنه والقول بالعكس، فهذا والله لهو عين الجفاء وإيذاء النبي ﷺ!! اهـ.

كان علي القاري رحمه الله تعالى رأى فترة أن والدَي رسول الله في النار، وكتب في هذا رسالة، لكنه رجع عن ذلك والحمد لله - كما نجده في شرحه للشفاء للقاضي عياض، الذي انتهى منه سنة ١٠١١هـ، أي قبل وفاته بثلاث سنوات.

فقد جاء فيه بعد كلام: «وأبو طالب لم يصح إسلامه وأما إسلام أبويه ففيه أقوال، والأصح إسلامهما على ما اتفق عليه الأجلة من الأمة، كما بيّنه السيوطي في رسائله الثلاث المؤلفة^(١)».

٢٧- عبد القادر بن محمد الطبري المكي (ت ١٠٣٣ هـ) له: «رسالة في أبوي النبي» نقل منها السيد البرزنجي.

٢٨- صالح بن محمد تمرتاشي الغزي (ت ١٠٥٥ هـ) له: «الجوهرة المضوية في حق أبوي خير البرية»، ذكره له الدكتور

(١) شرح الشفا لملاعلي القاري (١/١٠٦، ٦٤٨)، (طبعة استانبول، ١٣١٦هـ). منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، لعلي القاري، ومعه التعليق الميسر على شرح الفقه الأكبر لوهبي سليمان غاوجي (طبعة دار البشائر).

صلاح الدين المنجد في كتابه «معجم ما أُلّف عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم»^(١).

٢٩- عبد الأحّد بن مصطفى السيواسي (ت ١٠٦١ هـ) له: «تأديب المتمردين في حق الأبوين»، مخطوط بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض برقم سجل ٣٨٧٣٥.

٣٠- الإمام الشهاب الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ): قال ما نصه: لوالديّ طه مقامٌ علا في جنّة الخلد ودار الثواب وقطرةً من فضلاتٍ له في الجوف تنجي من أليم العقاب فكيف أرحامٌ^(٢) له قد غدت حاملّةً تصلى بنار العذاب» اهـ. وذلك في هامش «شرح الشفا»^(٣)، وكذلك «العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية»^(٤) اهـ.

٣١- محمد بن عبد الرسول البرزنجي الحسيني المدني (ت ١١٠٣ هـ) له: «سداد الدين وسداد الدين في إثبات النجاة والدرجات للوالدين» طبع سنة ١٤١٩ هـ، باعثناء السيد عباس أحمد صقر الحسيني،

(١) معجم ما أُلّف عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم (ص ٥٢).

(٢) مراده إثبات نجاة والدي الرسول ﷺ.

(٣) شرح الشفا مرجع سابق، (١/٣٥٤).

(٤) العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية، ابن عابدين (٢/٣٣١).

والأستاذ حسين شكري، الناشر دار المدينة المنورة.

٣٢- الإمام الزرقاني (ت ١١٢٢ هـ): قال في شرح المواهب اللدنية ما نصه: «وقد بينا لك أيها المالكي حكم الأبوين، فإذا سئلت عنهما، فقل: إنهما ناجيان في الجنة، إما لأنهما أحيا حتى ءامنا، كما جزم به الحافظ السهيلي والقرطبي، وناصر الدين ابن المنير، وإن كان الحديث ضعيفاً، كما جزم به أولهم ووافقه جماعة من الحفاظ، لأنه في منقبة وهي يعمل فيها بالحديث الضعيف، وإما لأنهما ماتا في الفترة قبل البعثة ولا تعذيب قبلها، كما جزم به الأبي وإما لأنهما كانا على الحنيفية والتوحيد ولم يتقدم لهما شرك، كما قطع به الإمام السنوسي والتلمساني المتأخر محشي الشفاء. فهذا ما وقفنا عليه من نصوص علمائنا ولم نر لغيرهم ما يخالفه إلا ما يشم من نفس ابن دحية، وقد تكفل برده القرطبي»^(١) اهـ.

٣٣- محمد بن أبي بكر المرعشي ساجقلي (ت ١١٥٠ هـ) له: «السرور والفرج في حياة إيمان والدي الرسول»، منه خمس نسخ مخطوطة بمكتبة الحرم المكي الشريف برقم ١٢٩١، ١٣٤٧، ٢٨٧٣، ٢٨٧٥، ٣٨٦٣.

٣٤- أحمد بن عمر الديربي الغنيمي الأزهري الشافعي

(١) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني (١/ ٣٩٤).

(ت ١١٥١ هـ) له: «تحفة الصفا فيما يتعلق بأبوي المصطفى»^(١)،
مخطوط بالأزهرية، برقم (٣٣٥) ٤٤٤١.

٣٥- علي ضضطلي (ت بعد ١١٧٠ هـ) له: «رسالة في نجاة أبوي
النبي وكونهما من أهل الفترة»، مخطوط بدار الكتب المصرية
برقم ٢١٦٣٢ ب، سنة النسخ ١١٧١ هـ.

٣٦- حسين بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالدادخي
(ت ١١٧١ هـ) له: «قرة العين في إحياء الوالدين».

٣٧- أحمد بن علي بن عمر بن صالح المنيني الدمشقي
(ت ١١٧٢ هـ) له: «مطلع النيرين في إثبات النجاة والدرجات
لوالدي سيد الكونين» مخطوط في شسترتي.

٣٨- محمد بن يوسف بن يعقوب الإسبري الحلبي (ت ١١٩٤ هـ)
له: «رسالة في نجاة الوالدين المكرمين لسيد البشر»، كما في «سلك
الدرر» ٤: ١٢١.

٣٩- أبو الحسن بن عمر بن علي القلعي (ت ١١٩٩ هـ) له:
«رسالة في إيمان أبوي النبي»، مخطوطة بمركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، برقم سجل ٧٩٦٢٦.

٤٠- علي بن صادق بن محمد الداغستاني ثم الدمشقي

(١) تحفة الصفا فيما يتعلق بأبوي المصطفى، الغنيمي (١١/٣).

(ت ١١٩٩ هـ) له: «رسالة في نجاة أبوي الرسول» مخطوطة منها نسخة مصورة في مركز جمعة الماجد بديي برقم ٨٠ (ق ١٣-٢٣) كما في «علماء دمشق وأعيانها في القرن الثاني عشر الهجري»^(١)، وجاء في فهرس دار الكتب المصرية^(٢)، أنه مطبوع بدمشق وأن في الدار نسخة منه.

٤١- سليمان بن عبد الرحمن مستقيم زاده الحنفي (ت ١٢٠٢ هـ) له: «رسالة موجزة في حق أبوي النبي» مخطوطة بمكتبة الحرم المكي الشريف برقم ٣٨٦٣ عام، وأخرى بدار الكتب المصرية برقم ٣٠١٩٧ «العقد المنظم في أمهات النبي»، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية في القاهرة برقم ١١٤٠ تاريخ.

٤٢- الإمام مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) له: «الانتصار لوالدي النبي المختار» وقف على نسخة منه بخط الكوثري كما في مقدمته كتاب العالم والمتعلم، و«حديقة الصفا في والدي المصطفى»، قرّظه الشيخ المدابغي كما في «بحوث وتنبهات»^(٣).

٤٣- محمد غوث بن ناصر الدين المدراسي (ت ١٢٣٨ هـ)

(١) علماء دمشق وأعيانها في القرن الثاني عشر الهجري (٣/٤٦٣).

(٢) انظر الكتاب (١/١٨٢).

(٣) بحوث وتنبهات، المعصومي (١/٢٨٣).

له: «بسط اليدين لإكرام الأبوين»، كما في ترجمته في «نزهة الخواطر»^(١).

٤٤- ابن عابدين (ت ١٢٥٢ هـ): سرد أقوال العلماء ابن شاهين والسهيلي مؤيدًا لها وغيرهم قال مؤيدًا قول الإمام الشهاب الخفاجي وإنه صواب جملة هذه المسائل ليست من الاعتقاديّات فلا حظّ للقلب فيها وأمّا اللّسان فحقّه الإمساك عمّا يتبادر منه التّقصان خصوصًا عند العامّة لأنّهم لا يقدرّون على دفعه وتداركه هذا خلاصة ما في هذا المقام من المقال وقد أتى العلامة الخفاجيّ بوجهٍ آخر نظمه، وفيه أيضًا الصّواب فقال لوالديّ طه مقامٌ علا في جنّة الخلد ودار الثّواب وقطرةٌ من فضلاتٍ له في الجوف تنجي من أليم العقاب فكيف أرحامٌ له قد غدت حاملة تصلى بنار العذاب لأنّ فضلاته عليه الصلاة والسلام طاهرة كما جزم به البغوي وغيره وهو المعتمد لأن أم أيمن بركة الحبشية شربت بوله ﷺ فقال: «لن يلج النار بطنك» صححه الدارقطني، وقال أبو جعفر الترمذي: دم النبي ﷺ طاهر؛ لأن أبا طيبة شربه وفعل مثل ذلك ابن الزبير وهو غلام حين أعطاه النبي ﷺ دم حجامته ليدفنه فشربه فقال له النبي ﷺ: «من خالط دمه دمي لم تمسه النار»، وهذه الأحاديث مذكورة

(١) نزهة الخواطر، فخر الدين الحسيني (٧/١١٠٢).

في كتب الحديث الصحيحة وذكرها فقهاؤنا وتبعهم الشافعية كالشربيني في شرح الغاية وفقهاء المالكية، والحنابلة فكانت كالمجمع عليها فحيث ثبت أن فضلاته عليه الصلاة والسلام تنجي من النار فكيف من ربي من دمها ولحمها وربى في بطنها ومن كان أصل خلقتة الشريفة منه يدخل النار هذا ما جرى به لسان القلم واللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ»^(١) اهـ.

٤٥- محمد بن عبد الرحمن الأهدل الحسيني (ت ١٢٥٨ هـ) له: «القول المسدد في نجاته والدي محمد»، ذكره السيد عبد الله الحبشي في «معجم الموضوعات المطروقة»^(٢).

٤٦- يحيى بن محمد مؤذن المكي (ت ١٢٦٠ هـ) إمام الحرم المكي الشريف له: «مناقب السيدة ءامنة» كما في «المختصر من نشر النور والزهر»^(٣).

٤٧- الإمام الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ): ذكر شهاب الدين الألوسي في تفسيره عند قوله تعالى ﴿وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ [سورة الشعراء] أن القول بإيمان أبويه ﷺ قول كثير من أجلة أهل السنة، ثم قال ما نصه: «وأنا أخشى الكفر على من يقول فيهما رضي الله عنهما

(١) العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية، ابن عابدين (٢/ ٣٣١).

(٢) معجم الموضوعات المطروقة، محمد الحبشي (٢/ ١٢٦١).

(٣) المختصر من نشر النور والزهر، عبد الله مرداد (ص ٥١١).

على رغم أنف القاري^(١) وأضرابه بضد ذلك» اهـ.

٤٨- البيجوري (ت ١٢٧٧ هـ): قال في شرح البيت التاسع من الجوهرة ما نصه: «إذا علمت أن أهل الفترة ناجون على الراجح، علمت أن أبويه عليهما السلام ناجيان لكونهما من أهل الفترة» اهـ.

٤٩- محمد بن عمر بالي المدني (ت بعد ١٢٨٥ هـ) له: «سبل السلام في حكم اءباء سيد الأنام»، مطبوع باستانبول سنة ١٢٨٧ هـ. كما في فهرس دار الكتب المصرية^(٢).

٥٠- العلامة السيد محمد عبد اللّه الجرداني الشافعي (ت ١٣٣١ هـ): يقول ما نصه: «مطلب في نجاته أبويه عليهما السلام وبما تقرّر تعلم أن أبويه عليهما السلام ناجيان لأنهما من أهل الفترة»^(٣) اهـ.

٥١- محمد علي بن حسين المالكي المكي (ت ١٣٦٧ هـ) له: «سعادة الدارين بنجاة الوالدين».

٥٢- إياد أحمد الغورج: ذكر الشيخ إياد في تعليقه وتحقيقه على كتاب السبكي المسمى «السيف المسلول على من سب الرسول عليه السلام» ما نصه: «ومن الإيذاء الذي يقع فيه بعض الجفافة لهجهم

(١) أقول ولعل الألويسي ما بلغه أن عليًا القاري تراجع عن كلامه بحق أبوي النبي عليهما السلام.

(٢) انظر الكتاب (١/١٢٢، ١٨٧).

(٣) فتح العلام بشرح مرشد الأنام، الجرداني (١/٣٩).

بمسألة أبي النبي ﷺ - وقولهم - أنهما في النار، فلا شك أن ذكر هذه المسألة وإثارتها بين عامة المسلمين هو من الأذى للنبي ﷺ، ويستحق فاعله التأديب الشديد بقطع النظر عن القول المختار^(١) في هذه المسألة. وقد سئل الإمام القاضي أبو بكر بن العربي المالكي عن رجل قال: إن أبا النبي ﷺ في النار، فأجاب بأن من قال ذلك فهو ملعونٌ لقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(٢) اهـ.

٥٣- قال الشيخ الدكتور الحسيب النسيب السيد الشريف محمد إبراهيم عبد الباعث الكتاني الإدريسي الإسكندري المصري الأزهري في محاضرة له على قناة «إقرأ»: «الكلام الذي يقول إن أبي رسول الله في النار هذا يتعارض مع الحكمة من بعثة الرسل، يقول سبحانه: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء] وقال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أْتَهُمْ مِنْ نَّذِيرٍ مِنْ قِبَلِكَ﴾^(٤٦) وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٤٥)، - فبعث الرسل تبلغ الدعوة للناس ومن لم تبلغه دعوة الرسل فهو من أهل الفترة فكيف يكون في النار -، فالعجيب أن يُترك القطعي ويُعمل

(١) أقول والقول المختار هو نجاتهما وأنهما من أهل الجنة. مصنف.

(٢) السيف المسلول، السيوطي، حاشية (ص ٤١٦-٤١٧).

بالظني، فهذا يدل على هوى في النفس، وأما المسألة - أي مسألة نجاة والدَي الرسول - فالأدلة على ذلك كثيرة» اهـ.

فقضية نجاة والدَي الرسول ﷺ قضية هامة شغلت الكثير من العلماء والمفكرين فتناولها بالبحث والدراسة والتحقيق أئمة كبار لا يجهل قدرهم ولا ينكر فضلهم بين أوساط العلماء العاملين.

وهؤلاء العلماء المحققون والنظار المدققون ذهبوا إلى نجاة والدَي المصطفى ﷺ وقد حرروا في ذلك المصنفات وأفتوا بنجاة الأبوين الشريفيين مؤصلين الفتوى على الكتاب والسنة والأقوال المعتمدة عند أهل العلم، وملتزمين جانب الأدب والتوقير للنبي الذي أمر الله سبحانه وتعالى بتعظيمه وتوقيره في كل ما يتعلق بشخصه الطاهر المبارك العظيم. وقد قال ﷺ: «لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما»^(١)»^(٢) رواه أبو نعيم، مما يدل على أن الوالدين الشريفيين ليسا من المشركين.

وكذلك استدل العلماء على نجاتهما بأنهما من أهل الفترة وهي

(١) وقوله ﷺ: «في خيرهما» دل على أنهما ليسا من المشركين لأن الله قال في ذم المشركين ﴿أُولَئِكَ هُم شُرُّ الْبَرِيَّةِ﴾، ولا يقول الرسول عن من وصفهم الله بأنهم شر البرية خير البرية.

(٢) جامع الأحايث، السيوطي، مسند عبد الله بن عباس (١١٣/٣٦).

المدة التي تقع بين رسولين لم يدرك السابق منهما ولم يعاصر
اللاحق فوالداه الكريمان لم يدركا أي رسالة ولم يرفضوا الإيمان بل
كانا على الفطرة الحنيفية السمحة.

وللعلماء والمؤلفين في هذا الأمر صولات وجولات وقد بلغت
المؤلفات في نجاة والدي المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبلغًا عظيمًا بهذا
الخصوص نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر^(١) ما يلي:

١- سَدَادُ الدِّينِ وَسَدَادُ الدِّينِ فِي إِثْبَاتِ النِّجَاةِ وَالدَّرَجَاتِ لِلْوَالِدَيْنِ:
السيد محمد بن رسول البرزنجي.

٢- رسالة في فضل أبويه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: علي الداغستاني.

٣- الانتصار لوالدي النبي المختار صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: السيد مرتضى الزبيدي.

٤- تحقيق ءامال الراجين في أن والدي المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الناجين:
ابن الجزار.

٥- التعظيم والمنة في أن أبوي المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنة: السيوطي.

٦- حديقة الصفا في والدي المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: السيد مرتضى الزبيدي.

٧- الدرج المنيفة في الآباء الشريفة: السيوطي.

٨- ذخائر العابدين في نجاة والدي المكرم سيد المرسلين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
الأسبيري.

(١) وليست العمدة على المؤلفين الشيعة.

- ٩- مرشد الهدى في نجاته أبوي المصطفى ﷺ: وحدي الرومي.
- ١٠- مسالك الحنفا في والدي المصطفى ﷺ: السيوطي.
- ١١- نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين: السيوطي.
- ١٢- هدايا الكرام في تنزيه آباء النبي عليه الصلاة والسلام (أي عن الزنى): البديعي.
- ١٣- الأنوار النبوية في آباء خير البرية ﷺ: الرفيعي الأندلسي.
- ١٤- بلوغ المرام في آباء النبي عليه الصلاة والسلام: إدريس بن محفوظ.
- ١٥- رد على من اقتحم القدح في الأبوين الكريمين: البخشي.
- ١٦- قررة العين في إيمان الأبوين: الدوايخي.
- ١٧- القول المختار فيما يتعلق بأبوي النبي المختار ﷺ: الديري.
- ١٨- المقامة السندسية في الآباء الشريفة المصطفوية (أي المحفوظين من الزنى): السيوطي.
- ١٩- الجواهر المضية في حق أبوي خير البرية ﷺ: التمرتاشي.
- ٢٠- سبيل السلام في حكم آباء سيد الأنام ﷺ: محمد بن عمر البالي.
- ٢١- أخبار آباء النبي ﷺ: الكوفي ذريعه.

- ٢٢- أنباء الأصفياء في حق آباء المصطفى ﷺ: الرومي الأماصي.
- ٢٣- رسالة في أبوي النبي ﷺ: الفناري.
- ٢٤- سبيل النجاة: السيوطي.
- ٢٥- آباء النبي ﷺ: ابن عمار.
- ٢٦- السيف المسلول في القطع بنجاة أبوي الرسول ﷺ: أحمد الشهرزوري.
- ٢٧- إيجاز الكلام في والدَي النبي ﷺ: محمد بن محمد التبريزي.
- ٢٨- السبل الجليلة في الآباء العلية: السيوطي.
- ٢٩- آباء النبي: محمد بن عبد الدائم البرماوي.
- ٣٠- رسالة في أبوي النبي: أحمد بن سليمان بن كمال باشا.
- ٣١- مباحج السنة في كون أبوي النبي في الجنة: محمد بن علي بن طولون الدمشقي الحنفي.
- ٣٢- الجزار رسالة في أبوي النبي: عبد القادر بن محمد الطبري المكي.
- ٣٣- الجوهرة المضية في حق أبوي خير البرية: صالح بن محمد تمرتاشي الغزي.

٣٤- تأديب المتمردين في حق الأبوين: عبد الأحد بن مصطفى
السيواسي.

٣٥- رسالة في إسلام أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
ابن الملا شمس الدين الحصكفي.

٣٦- منحة الباري في إصلاح زلة القاري: حسن بن علي بن يحيى
العجيمي المكي.

٣٧- السرور والفرح في حياة إيمان والدَي الرسول: محمد بن أبي
بكر المرعشي ساجقلي.

٣٨- تحفة الصفا فيما يتعلق بأبوي المصطفى: أحمد بن عمر
الديربي الغنيمي.

٣٩- رسالة في نجات أبي النبي وكونهما من أهل الفترة: علي
ضضطلي.

٤٠- مطلع النيرين في إثبات النجاة والدرجات لوالدَي سيد الكونين
ﷺ: أحمد بن علي المنيني.

٤١- رسالة في إيمان أبي النبي ﷺ: أبو الحسن بن عمر بن علي
القلعي.

٤٢- رسالة في نجات أبي الرسول ﷺ: علي بن صادق بن محمد
الداغستاني ثم الدمشقي.

٤٣- رسالة موجزة في حق أبوي النبي ﷺ: سليمان بن عبد الرحمن
مستقيم زاده الحنفي.

٤٤- العقد المنظم في أمهات النبي ﷺ: محمد مرتضى بن محمد
الزبيدي الحسيني.

٤٥- بسط اليددين لإكرام الأبوين: محمد غوث بن ناصر الدين
المدراسي.

٤٦- القول المسدد في نجاة والدَي محمد ﷺ: محمد بن
عبد الرحمن الأهدل الحسيني.

٤٧- مناقب السيدة ءامنة: يحيى بن محمد مؤذن المكي إمام
الحرم المكي الشريف.

٤٨- سعادة الدارين بنجاة الوالدين: محمد علي بن حسين
المالكي المكي.

٤٩- نخبة الأفكار في تنجية والدَي المختار ﷺ: محمد سيد
إسماعيل الحسني.

٥٠- تأكيد الأدلة على نجاة والدَي النبي من النار: محمد نور
سويد الحلبي.

٥١- آباء سيدنا النبي ﷺ: محمد بن عبد الدائم البرناوي.

٥٢- رسالة في أبويه ﷺ: ابن الجزري.

- ٥٣- الإصطفا في إيمان أبوي سيدنا المصطفى ﷺ: البوطي.
- ٥٤- سماء الدين في نجاة الوالدين: عبد الرسول البرزنجي.
- ٥٥- فتح العليم في نجاة أبوي سيدنا النبي الكريم ﷺ: عبد العزيز ابن عرفة.
- ٥٦- الرسالة البيانية في حق أبوي النبي ﷺ: محمد بن محمد بن الجزري.
- ٥٧- السيف المسلول على الهندي شاتم الرسول ﷺ: محيي الدين أخوين.
- ٥٨- سيدنا عبد الله أبو النبي ﷺ: محمد فوزي حمزة.
- ٥٩- أم النبي ﷺ: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء.
- ٦٠- النبي ﷺ ووالداه الكريمان: محمد عبده يماني.

وأما الأحاديث التي وردت في شأن الأبوين الكريمين والتي ظاهرها أنهما في النار ونعوذ بالله من ذلك فقد ردها العلماء لعدم ثبوت أكثرها كما ذكرنا وما ثبت منها يعتبر خبراً واحداً ظني الثبوت والدلالة فتقدم عليه الآيات القرآنية قطعية الثبوت والدلالة.

ومن ذلك قول الله تعالى ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴾ (٢٠٨) ذَكَرْنِي وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾، حيث لا تعذيب قبل الإرسال ومن الثابت عند العلماء تقديم الآيات التي تفيد نجاتهما على الأحاديث

لأنها أخباراء احاد ظنية فلا تعارض القطعي من القرءان الكريم.
ولذا فهذه الأحاديث التي ظاهرها التعارض يجب تأويلها لتتفق
مع الآيات المحكمة كما بين ذلك العلماء الراسخون.

الفصل السادس

شذوذ وانحراف الوهابية بتكفيرهم والدي الرسول ﷺ
واتهامهما بالشرك وأنهما من أهل النار

سئل ابن تيمية هل صح عن النبي ﷺ أن الله - تبارك وتعالى -
أحيا له أبويه حتى أسلما على يديه، ثم ماتا بعد ذلك؟
فأجاب^(١) «لم يصح ذلك عن أحد من أهل الحديث، بل أهل
المعرفة متفقون على أن ذلك كذب مختلق.. ولا نزاع بين أهل
المعرفة أنه من أظهر الموضوعات كذبًا كما نصّ عليه أهل العلم،
وليس ذلك في الكتب المعتمدة في الحديث؛ لا في الصحيح ولا في
السّنن ولا في المسانيد ونحو ذلك من كتب الحديث المعروفة ولا
ذكره أهل كتب المغازي والتفسير وإن كانوا قد يروون الضّعيف مع
الصحيح لأنّ ظهور كذب ذلك لا يخفى على متدبّنٍ فإنّ مثل هذا لو
وقع لكان ممّا تتوافر الهمم والدواعي على نقله فإنّه من أعظم الأمور
خرقًا للعادة» اهـ.

وهنا يظهر جهل ابن تيمية المركب وكذبه المفضوح حيث اتّهم
مئات الحفاظ والمحدثين الذين رووا أحاديث إحياء الأبوين ولو
كان ضعيفًا في مؤلفاتهم المشهورة الكثيرة المعروفة مع بيان أنها
ليست كذبًا مختلقًا كما زعم الكذّاب الأشر.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٣٢٤).

وقال المجسم ابن باز^(١): «فلولا أن عبد الله بن عبد المطلب والد النبي ﷺ قد قامت عليه الحجة؛ لما قال النبي ﷺ في حقه ما قاله، فعله بلغه ما يوجب عليه الحجة من جهة دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإنهم كانوا على ملة إبراهيم حتى أحدثوا ما أحدثه عمرو ابن لحي الخزاعي، وسار في الناس ما أحدثه عمرو، من بث الأصنام ودعائها من دون الله، فلعل عبد الله كان قد بلغه ما يدل على أن ما عليه قريش من عبادة الأصنام باطل فتابعهم؛ فلهذا قامت عليه الحجة» اهـ.

وكذا قال بذلك محمد صالح المنجد^(٢).

انظر إلى وقاحة ابن باز وجهله العريض وغبائه الكبير كيف يحكم على والدي الرسول بالكفر والشرك بـ «لعله».

وقال المجسم الألباني^(٣): «إن أهل الجاهلية الذين ماتوا قبل بعثته عليه الصلاة والسلام معذبون بشركهم. وذلك يدل على أنهم - أي والدي الرسول بزعمه - ليسوا من أهل الفترة الذين لم تبلغهم دعوة نبي خلافا لما يظنه بعض المتأخرين» اهـ.

وهنا يظهر حقد الألباني على والدي الرسول ﷺ وأنه يريد لهما

(١) المسمى نور على الدرب لابن باز (١/٩٢).

(٢) فتاوى لمحمد صالح المنجد (ص ٢).

(٣) المسمى سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٦/١٩٢).

أن يكونا في النار في جهنم يُعَذَّبَانِ بُوْهُمَهُ وَخِيَالَهُ الْكَاسِدِ الْفَاسِدِ
وَيَتَّهَمُ أَهْلَ الْفِتْرَةِ أَيُّ الَّذِينَ لَمْ تَبْلُغْهُمْ دَعْوَةَ رَسُولٍ مِنْ رِسَالِ اللَّهِ بِأَنَّهُمْ
مُعَذَّبُونَ عَلَى الشَّرْكِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَيُّنَ الْأَبْنَانِي فِي دَعْوَاهِ السَّاقِطَةِ هَذِهِ
مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ١٥ .

الفصل السابع

قصائد في نجات والدي الرسول ﷺ

قال ابن ناصر الدين مؤلف كتاب مورد الصادي بمولد الهادي

ﷺ:

حَبَا اللَّهُ النَّبِيَّ مَزِيدَ فَضْلٍ عَلَى فَضْلٍ وَكَانَ بِهِ رُؤُوفًا
فَأَحْيَا أُمَّهُ وَكَذَا أَبَاهُ لِإِيمَانٍ بِهِ فَضْلًا مَنِيْفًا
فَسَلِّمْ فَالْقَدِيمُ بِذَا قَدِيرٌ وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ بِهِ ضَعِيفًا

وأورد السيوطي في الخصائص الكبرى، والصالحي في سبل الهدى
والرشاد:

ثم ماتت - أي السيدة ءامنة - فكنا نسمع نوح الجن عليها،
فحفظنا من ذلك:

نَبِيَّ الْفَتَاةِ الْبِرَّةِ الْأَمِينَةَ ذَاتَ الْجَمَالِ الْعَفَّةِ الرَّزِينَةَ
زَوْجَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَالْقَرِينَةَ أُمَّ نَبِيِّ اللَّهِ ذِي السَّكِينَةَ
وَصَاحِبَ الْمَنْبَرِ بِالْمَدِينَةَ صَارَتْ لَدَى حَفْرَتِهَا رَهِينَةَ
لَوْ فُودِيَتْ لِفُودِيَتْ ثَمِينَةَ وَلِلْمَنِيَا شَفْرَةَ سَنِينَةَ
لَا تُبْقِ طَغَاءًا وَلَا ظَعِينَةَ إِلَّا أَتَتْ وَقَطَعَتْ وَتِينَةَ

قال بالي زاده الحنفي المدني صاحب كتاب «سبل السلام في حكم آباء سيد الأنام ﷺ» ما نصه: وقد ورد ما أسداه نبينا ﷺ من الكرامة العظيمة حين وفدت إليه السيدة حليلة مكافأة لها وجزاء الله تعالى لها أعظم كرامة لحبيبه عليه الصلاة والسلام وهي أمه رضاعاً، فلأن يكون هذا للأُم نسباً أولى وأحق، وهو اللائق بكرم الله تعالى وبمنزلة حبيبه ﷺ عنده عز وجل، وقد نظم بعض العلماء في ذلك شعراً فقال:

هذا جزاء الأم عن إرضاعه لكن جزاء الله عنه عظيم
وكذاك أرجو أن يكون لأمه عن ذاك أمانة يد ونعيم
ويكون أحياءها الإله وأمنت بمحمدٍ فحديثها معلوم

وذكر الشيخ الطحطاوي في حاشية الدر المختار أبياتاً وأثبتهما فيها وارتضاهما حيث قال رواية عن أحد الفضلاء قوله شعراً:

أمنت أن أبا النبي وأمه أحياءها الحي القدير الباري
حتى لقد شهدا له برسالة صدق فتلك كرامة المختار

ومن مُنتقى بعض ما أنشده الحافظ السيوطي:

إن الذي بعث النبي محمداً أنجى به الثقلين مما يُجحف
ولأمه وأبيه حكم شائع أبداه أهل العلم فيما صنّفوا

لم يَأْتِهِ خَبْرُ الدُّعَاةِ الْمُسْعِفِ
 أَنْ لَا عَذَابَ عَلَيْهِ حُكْمٌ يُؤْلَفُ
 والأشعريَّة ما بهم مُتَوَقِّفُ
 وَبَنَحُوا ذَا فِي الذِّكْرِ أَيُّ تُعْرِفُ
 أبويهِ حتى ءَامَنَّا لَا خُوفُ
 فِي ذَاكَ لَكِنَّ الْحَدِيثَ مُضَعَّفُ
 لَكْفَى فَكَيْفَ بِهَا إِذَا تَتَأَلَّفُ
 أَدْبًا وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ هُوَ مُنْصِفُ
 مَا جَدَّدَ الدِّينَ الْحَنِيفَ مُحْنِفُ

فجماعةٌ أَجْرُوهُمَا مُجْرَى الَّذِي
 وَالْحُكْمُ فَيَمْنُ لَمْ تَجِئْهُ دَعْوَةٌ
 فَبِذَاكَ قَالَ الشَّافِعِيَّةُ كُلُّهُمْ
 وَبِسُورَةِ الْإِسْرَاءِ فِيهِ حُجَّةٌ
 وَجَمَاعَةٌ ذَهَبُوا إِلَى إِحْيَائِهِ
 وَرَوَى ابْنُ شَاهِينَ حَدِيثًا مُسْنَدًا
 هَذَا مَسَالِكُ لَوْ تَفَرَّدَ بَعْضُهَا
 وَبِحَسْبِ مَنْ لَا يَرْضِيهَا صَمْتُهُ
 صَلَّى إِلَهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

وقال أحد الشعراء:

طابَ حَمَلًا فِي الْوَرَى وَالْمَوْلِدَا
 وَرَأَتْ بُرْهَانَ طَهٍ قَدْ بَدَا
 لَمْ تَجِدْ شَيْئًا يُعَانِي أَبَدَا
 وَعَلَّتْ قَدْرًا وَزَادَتْ مَدَدَا
 بَيْنَ كُلِّ الْأُمَّهَاتِ سُؤْدَدَا

حَيِّ أُمَّا حَمَلَتْ طَهَ الْهُدَى
 بِنْتُ وَهْبٍ شَرَفَتْ بِالْمِصْطَفَى
 خِفَّةٌ فِي الْحَمَلِ حَتَّى إِنَّهَا
 مُدَّةُ الْحَمَلِ رَأَتْ مَا سَرَّهَا
 هِيَ أُمُّ الْمِصْطَفَى مَن مَثَلَهَا

وضعتَه قبلَ فَجْرِ ساجِدًا
مَظْهَرُ العِفَّةِ يَبْدُو مُبْهِرًا
نورُهُ الوضاحُ في الكونِ بَدَا
أشْرَقَ العالَمَ بالميلادِ إذْ
من نبي الطُّهْرِ لَمَّا سَجَدَا
مُعْجِزَاتٌ بَهَتَتْ مُظْهِرَةً
جَدَّدَ الرَّحْمَنُ فِيهِ المَدَدَا
كُلُّ فَجِّ فِي مُحيطِ الأَرْضِ لَمْ
يَتَمالِكْ بل تَسامى وَشَدَا
سِرًّا ما أعطى الإلهُ أَحْمَدَا

وقال الدكتور الشاعر أحمد حمود في نجاة والدي الرسول ﷺ (١):

وَسائِلُ يَقُولُ لِلْمُخْتارِ
قِيلَ لَقَدْ أَجابَهُ خَيْرُ نَبِي
أَيْنَ أَبِي فِي جَنَّةٍ أَمْ نارِ
وَلَا نَظُنُّ المِصْطَفَى البَشِيرا
أَبوكَ فِي النَّارِ وَمِثْلُهُ أَبِي
هَذَا حَدِيثٌ كانَ خَيْرًا أَنْ يُرَدَّ
أَلقى عَلى وَالِدِهِ التَّكْفِيرا
فِي مُسَلِّمٍ إِسنادُهُ مَعْلُومٌ
وَإِنْ يَكُنْ فِي مُسَلِّمٍ لَقَدْ وَرَدَّ
إِنَّ رَسولَ اللَّهِ وَالِداهُ
عَطاهُما جَنَّتَهُ الإِلاهُ
كَلاهُما قَدْ أَلْهَمَ الإِيمانَا
لَمْ يَعبُدَا فِيمَا مَضَى الأوثانَا
هَذَا أَبُو حَنِيفَةَ التَّعْمانِ
فِي وَالِدِي نَبينا العَدنانِي

(١) من كتابنا «إتحاف المسلم»، للمصنف.

يَقُولُ مَا مَاتَا مِنْ الْكُفَارِ قَدْ حَذَفَ النَّسَاحَ مِثْمَا نَافِيَهُ
وَجَاءَ عَنْ نَبِيِّ هَذِي الْأُمَّةِ إِسْتَأْذَنَ اللَّهَ وَزَارَ أُمَّةَ
أَرَادَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ الْمُخْتَارَ لِأَمِّهِ لَمْ يَأْذَنِ الْعَقَّارُ
تَوَهَّأَ الْبَعْضُ بِأَنْ أَمِنَهُ مِنْ مُوجِبَاتِ الْكُفْرِ غَيْرُ أَمِنَهُ
لَا يَعْرِفُونَ حِكْمَةَ الْقَهَّارِ لَوْ أْذِنَ اللَّهُ بِالْإِسْتِغْفَارِ
لَا سْتَغْفِرَ الْجَمِيعُ لِلْآبَاءِ مِنْ دُونِ تَمْيِيزٍ وَلَا إِسْتِثْنَاءِ
وَجُلُّهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مَاتُوا عَلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ
فَلَا يُفَسِّرُ سَنَةَ التَّهَامِي مَنْ لَمْ يُحِطْ بِالدِّينِ وَالْأَحْكَامِ

قال الشاعر الكبير محمد أمين كتبي المدرّس بالمسجد الحرام

في مدح السيدة ءامنة:

اللَّهُ شَاءَ أَنْ تَكُونِي فِينَا أُمَّاً لِخَيْرِ الْمُرْسَلِينَ حُنُونَا
لِلَّهِ أَحْشَاءُ تَوَسَّدَ أَحْمَدُ جَنَابَاتُهَا فَحَنَّتْ عَلَيْهِ جَنِينَا
لِلَّهِ أَصْلَابٌ تَقَلَّبَ أَحْمَدُ فِيهَا فَسَادَتْ أَظْهَرًا وَبَطُونَا
جَهَلُوا مَقَامَكَ حِينَ قَالُوا قَوْلَهُ وَ لَقَدْ أَسَاؤُوا فِي النَّبِيِّ ظَنُونَا
تَرْجُوهُ أُمَّتُهُ وَتِيَّاسُ أُمَّةٍ؟ حَاشَاؤُهُ وَهُوَ بَبْرٌهَا يُؤْصِنَا

ولسوف يُعطيهِ الإلهُ فَهَلْ تَرى
 اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ دِينَهُ
 إِنْ كَانَ أَشْرَفُ بِقَعَةٍ تَلَكَ التّي
 فَلِكُونِهَا ضَمَّتْ عِظَامَ المِصْطَفى
 سَعِدَتْ بِكَ الأبْوَاءُ حِينَ نَزَلَتْهَا
 فَلِنَا السَّعَادَةُ إِنْ ذُكِرْنَا عِنْدَهُ
 لِيَبِّكَ يَا خَيْرَ الأَنَامِ وَسَيِّدَ الرُّ
 يَا مَنْ لَهُ الخُلُقُ العَظِيمُ سَجِيَّةً
 أَعْطَاكَ رُبُّكَ رِثَةً لَمْ يُعْطِهَا
 انْظُرْ بَعِينِ العَظْفِ وَاِرْحَمِ ذُنَّا
 يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ
 وَبِحَقِّهِ يَا رَبُّ حَقِّقْ سَوْؤَنَا
 يَرْضَى لِأَمْنَةٍ تَذُوقُ الهُؤْنَا
 وَلَقَدْ رَضِينَا دِينَ ابْنِكَ دِينَا
 أَضْحَى بِهَا خَيْرُ الأَنَامِ دَفِينَا
 لَكِن بِيَطْنِكَ كُؤِنَتْ تَكْوِينَا
 وَتَعَطَّرَتْ ذِكْرًا وَطَابَتْ طِينَا
 أَوْ إِنْ سَمِعْنَا صَوْتَهُ يَدْعُونَا
 سَلِّ الكِرَامِ وَسِرْنَا المَكْنُونَا
 وَالعَفْوُ عِنْدَكَ نَالَهُ الرَّاجُونََا
 عَيْسَى وَلَا مُوسَى وَلَا هَارُونََا
 وَاقْبَلْ تَعَطُّفَ بِنْتِ وَهْبِ فِينَا
 مَا قَامَ حَادٍ أَوْ تَلَا تَالِينَا
 وَاغْفِرْ لَنَا يَا رَبَّنَا ءَامِينَا

يا والد الرسول

قال أحد الشعراء:

أنت المبارك عبد الله يا أملي أهدي لك الله ابناً سيد الرُّسُلِ
يا والدًا لحبيب الحقِّ سيدنا طه الرؤوفِ شفيعِ الخلقِ مِنْ وَجَلِ
قد خصَّكَ اللهُ بالتشريفِ مرتبةً فوقَ الثريا لسرِّ فيك مُشتمِلِ
اختارك اللهُ للمحبوبِ والدَهُ فنلتَ أشرفَ مولودِ ومكتَمِلِ
أنت المطهَّرُ شِعْ النورِ مؤتلفًا على جبينك بشرى مولدِ الأملِ
منك الرسولُ أتى للكونِ رحمةً فكنتَ واللهِ محفوظًا مِنَ الخَلَلِ
برِئتَ مِنْ كُلِّ شِرْكٍ سيدي أبدًا فلم تخرَّ إلى عزى ولا هُبَلِ
وقد نشأتَ على التوحيدِ مُتَّبِعًا خطوَ الحنيفةِ السَّمْحَا بلا زَلَلِ
وبالعنايةِ قد رُبِّيتَ في أدبٍ وصانَكَ اللهُ مِنْ فُحْشٍ وَمِنْ زَعَلِ
سَمَّاكَ شَيْبَةَ عبدِ اللهِ منقِبَةً تُنبِي عَنِ الفِطْرَةِ الأنقى بِلا عِلَلِ
وكنْتَ ءاثرَ أبناءِ حَظِيَّتِ بِمَا لم يحظَهُ ولدٌ مِنْ حِيهِ الجَزَلِ
واللهُ بالفضلِ إتمامًا لِنِعْمَتِهِ لأجلِ رحمتهِ المهداةِ مِنْ أزلِ
أحياكَ ربُّكَ والعصماءُ ءامنةً رفَعًا لِقَدْرِ كما في أشرفِ التُّزَلِ

لِتَنَعَمَا بِسَنَا الْإِيمَانِ مِنْزِلَةً عَظْمَى وَدِينُكُمَا التَّوْحِيدُ فَابْتَهَلِ
وَفِي ﴿وَتَقَبَّلُكَ﴾ الْآيَاتُ نَاطِقَةٌ بِأَعْظَمِ الْمَدْحِ فَاهِنًا فِي الْمَلَا الْأَوَّلِ
فَالْحَقُّ أَنَّ نَجَاةَ الْوَالِدَيْنِ لَهَا أَدَلَّةٌ ظَهَرَتْ كَالشَّمْسِ فِي الْأَصْلِ
عَلَى الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَا وَفَتَرْتِهِمْ وَاللَّهُ أَحْيَاهُمَا فِي صَادِقِ الْجُمَلِ
وَاللَّهُ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ أَخْبَرَنَا بَعْدِلِهِ عَنِ سَوَاءِ الْقِسْطِ لَمْ يَمَلِ
فَلَا يَعْدِبُ مَنْ لَمْ تَأْتِهِ رُسُلٌ مَصْدَاقُ قَوْلِ ﴿وَمَا كُنَّا﴾ بِبَلَا جَدَلِ
فَلِيَتَّقِ اللَّهَ مَنْ يَبْغِي مَجَادَلَةً بِالْخَوْضِ فِي وَالدَيْهِ مَوْضِعِ الْمُقَلِّ
أَيَّرَحِمُ الْمَذْنُبَ الْعَاصِي بِأَحْمَدِنَا وَيُحْرِمُ الْوَالِدَانَ الْفَوْزَ فَلْتَقُلِّ
وَيَشْفَعُ الْإِبْنُ لِلْعَاصِينَ يَوْمَئِذٍ وَيَتْرُكُ الْوَالِدِينَ طُعْمَةَ الْوَجَلِ
وَاللَّهُ قَدْ وَعَدَ الْمُخْتَارَ مَوْعِدَةً أَلَا يَسَاءَ بذي التَّوْحِيدِ فَاثْمَثَلِ
اللَّهُ يَلْعَنُ مَنْ يُوْذِي الرَّسُولَ وَمَنْ يَرْضَى بِقَوْلِهِ مَافُونٍ وَمَنْخَذَلِ
فَهَلْ يَسُوعُ لِمَنْ فَرَضَ مُحَبَّتَهُ وَحُبُّ عَتْرَتِهِ وَالصَّحْبِ وَالرُّسُلِ
تَرْدِيدُ قَوْلِ يَمَسُّ الْوَالِدَيْنِ لِكِي يَشَاعَ فِي النَّاسِ هَذَا الْأَمْرُ بِالْخَطَلِ
وَمَا هُنَاكَ دَلِيلٌ قَاطِعٌ أَبَدًا بَلْ هَذِهِ شُبُهَةٌ مِنْ زَيْغِ مُخْتَبَلِ
فَلِيَنْتَهِ الْمَسْلُومُ الْعَاصِي بِقَوْلَتِهِ مُسْتَغْفِرًا رَبَّهُ مِنْ أَقْبَحِ الزَّلَلِ

أما الذي يتبعن قولاً بغير هدى لذي الفصاحة والتدليسِ بالجدلِ
فقل له قد تبعت القوم في شبيهه تهدي إلى الطعنِ والحرمانِ والفشلِ
إن قال زاعمهم في العلم حجتنا هذي نصوصُ بأيدينا بلا مَلِ
فكيف تفهم نصاً وهو مشتبه من غير أهلِ رسوخِ العلمِ والعملِ
أليس هذا جفاءً في محبته وليس مجتهدٌ قد قالَ بالخطَلِ
فاهجرُ سبيلهم واسلكُ سبيلَ هدى إجماعِ أهلِ التقى هُم قُرّةُ المُقبلِ
أيفرضُ الدينُ للأبائِ برهم ويجعلُ الشكرَ عرفاناً بلا مَهَلِ
فكيف برُّ حبيبِ اللّهِ قدوتنا بوالديهِ وفاءً يا أخا العَدَلِ
وأيّن فضلُ دعاءِ المصطفى لهما وهو المقرَّبُ عند اللّهِ بالشُّبَلِ
وأنت يا أمّ خيرِ الخلقِ ءامنةٌ لقد تناولَ بعضُ الناسِ بالخَبَلِ
أسعدتِ كلَّ بني الدنيا بمولدِ مَنْ قد جاءَ للكونِ بالآياتِ كالرُّسُلِ
لذا يقولُ شفيعُ الخلقِ عنك أنا رؤيا لأمي فقد ألهمتِ فاحتفلِ
فيا أحيابَ قلبي جئتما شرفاً للكونِ بالمصطفى المبعوثِ للدولِ
نفسى بحبِّكما حقاً لقد شغفت والروحُ هامت بكم يا قُرّةُ المُقلِ
مني السلامُ عليكم في الجنانِ فلا تنسوا مُحبَّكم في الموقفِ الجَلَلِ

يا ربِّ فاغْفِرْ لنا فضلاً وهبْ كرمًا
 واجعلْ نبيِّكَ عني راضيًا أبدًا
 وُلِّهْتَنِي بغرامٍ فيه يسعدُنِي
 ووالدينا رضاءً حَقَّقَنْ أَملي
 حتَّى أراه بعينِ الروحِ والمقلِ
 أَكْرِمْ بحسنِ ختامِ القولِ والعملِ
 وقال أحد الشعراء:

كم رَوَى الحُدَّاقُ عَن نورِ بدا
 بالذبيحينِ ازدهى في مكَّةِ
 كانَ إِسماعيلُ فيها أوَّلًا
 وأتَى الأُمَّمَ بشيرٍ طيِّبٍ
 سيِّدِ الرُّسُلِ وهاديِ الوري
 رحمةِ اللّهِ إلى الخلقِ الذي
 خَيْرَةٌ مِنْ خَيْرَةٍ مِنْ خَيْرَةٍ
 والذي يَنْبِزُهُمْ في قولِهِ
 حُبُّهُمْ حُبٌّ لهُ نرجو به
 كلُّ جيلٍ في جَينٍ مُنْجِبِ
 وتسامى في ربيعٍ مُخْصِبِ
 ثم عبدُ اللّهِ عوًّا للآبِ
 بالوليدِ الأحمَدِ المُنتَخِبِ
 مَنْ أتى بالذِّكْرِ خيرِ الكُتُبِ
 ربُّهُ أوْلَاهُ أسْمى أدبِ
 خَصَّها اللّهُ بِحُلُو الرُّتَبِ
 هُوَ مؤذٍ للنبيِّ العربي
 رحمةِ اللّهِ بيومِ الغضبِ

وقال العلامة السيد محمد أمين كتبي الحسنِي يمدح والِدِي
رسولِ الله عليه الصلاة والسلام كذلك:

باللَّهِ يا بدرَ التمامِ رفَّقًا بقلبي مسـتـهـامِ
رفَّقًا بصبيِّ سافرٍ في الحبِّ قد حَسَرَ اللَّثامِ
كَلِيفُ بسكَّانِ الحمى أهلِ الوفا والاعتصامِ
وهناكَ قامَ خطيْبُنا يدعو إلى دارِ السلامِ
ويبيِّشُ الدنِيا بأُنـد منَ محبِّ طه لا يُضامِ
وبأنَّ ءامنَةً بهِ فوقَ الكرائمِ والكرامِ
وبأنَ عبدَ اللّهِ في الـ فردوسِ في طيبِ المقامِ

وقال أيضًا:

يا والدَ المصطفى حُزَّتِ الكمالاتِ وجئتَ بالخيرِ للماضي وللاّتي
ما مثلُ ما نلتَ منَ فضلٍ فقد جُمِعَتْ لكِ المفاخرُ بابنِ كاملِ الذاتِ
لقد سموتَ على الآباءِ مَنقَبَةً كبرى وذكراً جميلاً في السمواتِ
يا بعلَ ءامنَةٍ منَ خُصِصَتْ شَرَفًا حماكما اللّهُ عن كلِّ المُلِماتِ
ءامنئُما برسولِ اللّهِ مَكْرَمَةً فأنتما الآنَ في فردوسِ جناتِ
وقد رأيتُ السُّيوطيَّ الإمامَ بَنَى بيتًا منَ العلمِ منَ أقوى الرواياتِ

وقال إن نِجاةَ الوالدينِ عَدَتْ حَقًّا بِتَحْقِيقِ ساداتٍ وَأَثباتِ
 فانظُرْ رسائلَهُ إن شئتَ تَلَقَّ بها نورَ اليقينِ على تلكِ الرِسالاتِ
 وذلكَ معتقدي حَقًّا ومستندي مُدَعِّمٌ بأحاديثٍ وءاياتِ
 والمصطفى مَعَ برِّ الوالدينِ له أعلى المناصبِ في كلِّ المقاماتِ
 يا بعلَ ءامنةٍ وَهِيَ التي نَظَرْتُ نورَ الشَّامِ على بُعْدِ المَساتِ
 مَنْ كانَ أهدى إلى الأجيالِ مكرمةً فأنتَ أهديتَهُمُ أسنى الهدياتِ
 أبشِرْ فَإِنَّ عطاءَ اللَّهِ ليسَ له حدًّا ويأتي بأنواعِ المِسرَّاتِ
 وأنتَ أولى بفضلِ اللَّهِ مِنْ بَشَرٍ لم يبلغوا بعضَ هاتيكِ المَزيَّاتِ
 وهكذا أُمُّ خَيرِ الخَلقِ فَهِيَ لَهَا حَقُّ التَّقَدُّمِ في كلِّ الفِضيلاتِ
 يا بنتَ وَهَبٍ مَلَكتِ الفِخْرَ أَجمَعَهُ بوضعِ مَنْ جاءَ بالسبعِ القراءاتِ
 وجاءَ بالمعجزاتِ الجَمِّ أيسرُها نَبُعَ المِياهِ وتَسليمِ الجِماماتِ
 يا أشرفَ الخَلقِ قد فُتتِ الورى نَسَبًا أبًا وأُمَّما وأجدادًا وجَدَّاتِ^(١)
 يا سيدَ الرُّسُلِ هَبْ لي منك مكرمةً تشدُّ أوزري وتقضي لي مُراداتي
 يا صاحبَ الجاهِ عندَ اللَّهِ أنتَ لها فأنتَ واللَّهِ مقبولُ الشِفاعاتِ
 وجاءَ جَدَّةَ ءالِ البيتِ ءامنةً ذاتِ الفِضائلِ فَرَجُ كلِّ كُرباتِي

وانظرُ بجاهِهِما حالي ومَسئَلتي واشفَعُ لدى اللّهِ في أمري وحالاتي
يا سيدي وأُنلني منك عائِدَةً موصولَةً بعطايَاكَ الجزيلاتِ
فليسَ بيني وبينَ الفوزِ مِنْ أَمَدٍ إلا الوصولُ إلى هذي الحظيراتِ
وها أنا واقِفٌ بالبابِ ملتزِمٌ فبابُ جودِكَ إهلالي وميقاتي
يا أكرمَ الخلقِ عندَ اللّهِ منزِلَةً وَقِفٌ عليك أناشيدي وأبياتي
فإن تغنيتَ بالميلادِ فَهُوَ كما أراهُ عندي من أزكى العباداتِ
وإن شدوتُ بفضلِ الوالدينِ فقد أضاءَ نورُكَ في مصباحِ مشكاتي

الفصل الثامن

دار النابغة^(١) من بني النجار

هي الدار^(٢) التي دفن فيها سيدنا عبد الله أبو النبي ﷺ وهو سيدنا عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وفي أسد الغابة أن عبد المطلب أرسل إلى المدينة الزبير شقيق عبد الله، فشهد وفاته ودفن في دار النابغة وهو رجل من بني عدي بن النجار، فقد جاء أنه ﷺ لما هاجر إلى المدينة ونظر إلى تلك الدار قال: «هنا نزلت بي أمي وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله وأحسنتم العوم في بئر بني عدي بن النجار»^(٣).

(١) ذكر ذلك بهذا اللفظ بدر الدين العيني في عمدة القاري (١٠ / ٢٥)، وأبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة (١ / ١١٨)، وابن الأثير في أسد الغابة (١ / ٢٥)، والطبري في تاريخه (١ / ٥٧٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣ / ٧٧) وغيرهم. وقيل التابعة كما ورد في السيرة الحلبية (١ / ١٠٩): «ودفن في دار التابعة بالتاء المثناة فوق والباء الموحدة والعين المهملة، أي وهو رجل من بني عدي بن النجار»، وفي عيون الأثر لليعمري (١ / ٧٨).

(٢) انظر الصورة على الغلاف الخلفي الخارجي.

(٣) السيرة الحلبية للحلي (١ / ٨٢).

الفصل التاسع

فتوى دار الإفتاء المصرية في نجاة والدي النبي ﷺ وأهم مسالكها الاستدلالية

أقرت دار الإفتاء المصرية أنّ مَنْ زعم أنّ أبوي النبي ﷺ ليسا من أهل الإيمان فقد أتى مقالةً عظيمةً^(١)، وقررت دار الإفتاء أيضًا^(٢) أنه لا مانع شرعًا من إطلاق لفظ «السيدة» على أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّ هذا هو مذهب جمهور المحققين من علماء الأمة سلفًا وخلقًا، الذين ألفوا في ذلك المؤلفات الكثيرة؛ حيث صرحوا بنجاة والدي النبي؛ لكونهما ماتا على الحنيفية ولم يتلبسا بالشرك مطلقًا. وقد استدلوا على ذلك بجملته من الأدلة، منها قوله تعالى: ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ [سورة الشعراء]، وقوله ﷺ: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات»، هذا علاوة على أن السيدة ءامنة كانت شريفةً في نسبها عظيمةً في زمنها سيدهً في قومها ومن أفضلهم حسبًا.

(١) يُنظر موقع دار الإفتاء المصرية <https://www.dar-alifta.org/>

تاريخ الفتوى: ١٩ نوفمبر ٢٠١٤م، رقم الفتوى: ٣٩٩١.

(٢) المصدر السابق: تاريخ الفتوى: ٢٥ مايو ٢٠١٥م، رقم الفتوى: ٣٠٥٤.

وبيّنت الفتوى أن العلماء سلكوا في تقرير نجاة والدي النبي ﷺ عدة مسالك:

أولها: القول بأنهما لم يثبت عنهما شرك، بل كانا على الحنيفية، مستدلين بقوله عز وجل: ﴿وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ [سورة الشعراء]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [سورة التوبة]، وبالحدِيث الوارد في انتقاله ﷺ في الأصلاب الطاهرة؛ إذ إنّ هذه النصوص توجب القول بأنّه لم يكن أحد من آباءه ﷺ من المشركين.

وقد سلك هذا المسلك جماعة من العلماء، منهم الإمام فخر الدين الرازي وغيره كالسيوطي الذي انتصر لهذا المسلك؛ حيث قرر أن الأحاديث الصحيحة دلت على أن كل أصل من أصول النبي ﷺ كان من خير أهل قرنه، بدليل حديث: «بُعِثْتُ من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنًا»، بالإضافة إلى ما ثبت في الآثار من أن الأرض لم تخلُ في زمن من موحدين على الفطرة، وبضم هاتين المقدمتين يتبين أن آباء النبي ﷺ لم يكونوا من المشركين.

ثانيها: أنهما من أهل الفترة؛ لأنهما ماتا قبل البعثة، ولا تعذيب قبل إرسال الرسل؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء]، وقد نقل الإمام أحمد النفاوي المالكي عن العلامة الأجهوري أن أهل الفترة ناجون، وأن والدي النبي ﷺ داخلان في ذلك؛ لوفاتهما قبل بلوغ الدعوة. وقد صرح بهذا القول عدد من العلماء، منهم

شرف الدين المناوي، ونقله السبط ابن الجوزي عن جماعة من أهل العلم، ومال إليه الحافظ ابن حجر العسقلاني.

ثالثها: القول بأن الله تعالى أحياهما حتى ءامنا به ﷺ، وقد مال إلى هذا المسلك طائفة من الحفاظ، منهم الخطيب البغدادي والقرطبي والمحب الطبري وغيرهم، وذكروا أن الأحاديث الواردة في ذلك وإن كان في أسانيدھا ضعف، إلا أنها تتقوى بمجموع طرقها، ولا يمتنع ذلك عقلاً ولا شرعاً؛ إذ قد وقع إحياء الموتى في الأمم السابقة.

فهذه مسالك العلماء الذين قالوا بنجاة والدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وهي مسالك قوية مؤيدةً بالدليل والبرهان، وعليها جماهير علماء الأمة.

وقد حذر العلماء من التجرؤ على جناب النبي ﷺ بذكر والديه بما فيه نقص؛ إذ نقل عن القاضي أبو بكر بن العربي أن من قال إن أبا النبي ﷺ في النار فقد ءاذى رسول الله ﷺ. كما أكد الإمام القسطلاني أن ذكرهما بما فيه نقص يؤذي النبي ﷺ، وأذاه أمر عظيم. ولهذا نصّ ابن عابدين على أن الأولى حفظ اللسان عن الخوض في هذه المسألة إلا بخير ومزيد أدب.

وبذلك يظهر أن القول بنجاة والدي النبي ﷺ قول قوي مؤيد بالأدلة والمسالك العلمية المتعددة، وقد قال به جمع كبير من

العلماء، وقد صدرت بذلك فتوى مفتي الديار المصرية الأسبق محمد بخيت المطيعي، حيث قرر أن من قال بعدم إيمان والدي النبي ﷺ فقد أخطأ خطأً بيِّنًا؛ لما في ذلك من إيذاء لرسول الله ﷺ، وهو ما قررته أيضًا دار الإفتاء المصرية، التي أكدت رسوخ هذا المذهب عند أهل السنة والجماعة.

الفصل العاشر

قذاعة أسنة الطاعنين في والدي النبي ﷺ

إنَّ ممَّا يؤلم القلب ويقذي عين الغيرة أن يجروا أناس كمجسمة هذا العصر على إطلاق عباراتٍ منكراً فاحشةً في حقِّ والدي سيِّد الخلق ﷺ، بلغت من القبح مبلغاً تقشعرّ منه جلود الذين ءامنوا، وتُستقذَرُ معه الأسماع، وتأنف منه الطباع السليمة، حتى جاوز بعضهم حدَّ الأدب إلى الوقاحة، وحدَّ العلم إلى التهور، فرموا والدي الرسول ﷺ بعباراتٍ شنيعة، وغلوا في إطلاق الأحكام، وتعدّوا إلى تبديعٍ وتضليلٍ، بل وتكفيرٍ من لم يوافقهم في ذلك، حتى تجرّأ بعضهم فقال: إنهما كانا مشركين، غيرَ متورّعين عن إطلاق هذه الدعوى الشنيعة التي تابها النصوص الصحيحة، ولم يقف بهم الأمر عند حدِّ القول، بل أمعنوا في تقريره، وتزيينه للعوام، والتشنيع على مخالفيهم، فاجتمع فيهم خصالٌ من لم يشمّ رائحة التعظيم لمقام النبي ﷺ، فأسرفوا في العبارة، وأغلظوا في الإشارة، وركبوا متن التهور بغير زمامٍ ولا خطام، حتى صارت أقوالهم في والدي النبي ﷺ مثلاً للفحش في الطرح، والسوء في القصد.

ومن أخبث ما سمع ما جاء من مُنتسبين للوهابية المُجسِّمة كرجلٍ يُدعى محمد حسن عبد الغفار مصري، وقد سجنته السلطات

المصرية لسوء صنيعه وقذاعة كلامه، فإنه قال: «والله وبالله وتالله أنا أبغض أبوي النبي لأن الله يُبغضهما ولأن النبي يُبغضهما»، ومثل ذلك القائم على موقع «فيصل نور» على الانترنت فإنه كتب مقالة بعنوان «التعبد المرضي بإثبات كفر والدي النبي ﷺ»، والعياذ بالله تعالى، وءآخر حقيراً وضع الشآن كان متصدراً للخطابة يدعى أشرف فوزي علي مصري، وقد تبرأت منه وزارة الأوقاف المصرية وأوقفته عن الخطابة قبل ذلك، فقد شتم الأشاعرة وشتم والدي النبي ﷺ فقال: «طرّ في دينكم الأشعري، طرّ في الكلّيين والدي النبي ومَن أحبّهما يُحشر معهما»، ألا لعنة الله على الظالمين.

وإن هذا المسلك لهو من أبين دلائل الجهل المركّب، وسوء الأدب، وفساد المنهج؛ إذ كيف يُتقرّب إلى الله تعالى بما فيه أذى لرسوله ﷺ؟! وقد تقرّر في أصول الشريعة أن حرمة النبي ﷺ أكاد الحرامات، وأن صيانته من الأذى - قولاً وفعلاً - من أوجب الواجبات، وأن كل ما يُفضي إلى الانتقاص من مقامه الشريف فهو مردودٌ على قائله، مُستقبِحٌ في ميزان الشرع والعقل.

وقد جاء تقرير نجاة والدي النبي ﷺ مؤيداً بمسالك علمية معتبرة، ومقرراً عند طائفة من أئمة التحقيق، كما أكّده جهات علمية معاصرة، وفي مقدّماتها دار الإفتاء المصرية؛ الأمر الذي يُظهر أن الانحراف إنما هو في مسالك الغلوّ والجفاء، لا في مسالك التحقيق والإنصاف.

وبناءً على ذلك، فإن ما يصدر من تلك الطائفة من إطلاقاتٍ شنيعة، وتعدّياتٍ جارحة، لا يُمثّل علمًا، بل هو خرقٌ لحدود الأدب، وانفلاتٌ من عقال الورع، وانتصارٌ للنفس لا للحق.

فالحذر الحذر من الانزلاق في مثل هذا المسلك؛ إذ الواجب صيانة المقام النبوي عمّا لا يليق به، وإقامة ميزان الأدب حيث اختلّ والحقّ حيث اعتلّ، وردّ الناس إلى جادة التوقير والتعظيم، فإن من أعظم القربات إلى الله تعالى حفظ حرمة نبيه ﷺ، وتعظيم ما عظمه، والكفّ عمّا يؤذيه.

خاتمة البحث

ذكر الإمام السيوطي في رسائله^(١) تجاه إسلام أبي المصطفى صلى الله عليه وآله ثلاثة آراء يدل بهم على أنهما من أهل الجنة ويرد على من قال بغير ذلك وله وللعلماء ثلاثة آراء.

الرأي الأول: أنهما ماتا قبل البعثة وهما من أهل الفترة ولا يعذبان لأنهما لم تبلغهما الدعوة لقول الله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ﴿١٥﴾

الرأي الثاني: أنهما لم يثبت عنهما شرك ولا عبادة للأصنام وأنهما كانا على دين سيدنا إبراهيم - أي الإسلام - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

الرأي الثالث: أن الله أحياهما له صلى الله عليه وآله حتى أسلما وءامنا به صلى الله عليه وآله.

الرأي الأول: أنهما كانا في زمن الجاهلية التي عم فيها الجهل وقد ماتا في حادثة السن فقد عاش سيدنا عبد الله من العمر ثمانية عشر سنة، والسيدة ءامنة ماتت في حدود العشرين من العمر.

وحكم من لم تبلغه الدعوة أنه يموت ناجياً ولا يُعَذَّبُ ويدخل الجنة باتفاق الشافعية واستدل على ذلك بالأدلة التالية.

(١) رسائل الإمام السيوطي في تحقيق نجات أبي المصطفى صلى الله عليه وآله.

الأدلة الدالة على النجاة من القرآن:

١- ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ﴿١٥﴾ [سورة الإسراء].

٢- ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفْلُونَ﴾ ﴿١٣١﴾ [سورة الأنعام].

وذلك على قاعدة أن شكر المنعم ليس بواجب عقلاً بل بالسمع أي بعد السماع لرسالة ودعوة وتبليغ - وهذا هو الصحيح - .

٣- ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٤٧﴾ [سورة القصص].

٤- ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنُخْزَى﴾ ﴿١٣٤﴾ [سورة طه].

٥- ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ ﴿٥٩﴾ [سورة القصص].

٦- ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿١٥٥﴾
أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ﴾ ﴿١٥٦﴾ [سورة الأنعام].

٧- ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا هَا مُنذِرُونَ﴾ ﴿٢٠٨﴾ ذَكَرَى وَمَا كُنَّا نَظْلِمِينَ﴾ ﴿٢٠٩﴾ [سورة الشعراء].

٨- ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [سورة فاطر].

وورد في الأحاديث الصحيحة: «سل تعط واشفع تشفع»، واليقين أنه ﷺ إذا سأل ربه نجاتهما أعطاه ذلك لكرامته عنده وحبه إياه ﷺ (١).

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (٥)، قال من رضا سيدنا محمد ﷺ أن لا يدخل أحدًا من أهل بيته النار، وذلك الظن بأهل بيته كلهم أن يطيعوا في الامتحان يوم القيامة.

وأخرج أبو سعيد في «شرف النبوة» عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي أن لا يدخل أحدًا من أهل بيتي النار فأعطانيها» (٢).

الرأي الثاني: أنهما لم يثبت عنهما شركٌ ولم يثبت أنهما عبدا الأصنام، بل كانا على الحنيفية دين جدهم سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام. وذلك كما كان طائفة كثيرة من أهل مكة في ذلك الوقت كزيد بن عمرو وورقة بن نوفل وأبي بكر الصديق

(١) انظر كتاب آثار النبي ﷺ، خالد مصطفى (ص ١٤٢ - ١٤٣).

(٢) رواه السيوطي في جامع الأحاديث (٤/ ٢٧٣).

وعبد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث ورباب بن البراء وغيرهم.

الرأي الثالث: أن الله أحيا له أبويه حتى ءامنا به.

والاستدلال على ذلك بما أخرجه ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ، والخطيب البغدادي والدارقطني وابن عساكر بسند ضعيف عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: حج بنا رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فمر بي على حجة الحجون وهو باك حزين مغتم، فنزل فمكث بعيداً عني طويلاً، ثم عاد إليّ وهو فرح مبتسماً، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، نزلت من عندي وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك، ثم إنك عدت إليّ وأنت فرح مبتسّم، فمم ذاك يا رسول الله، فقال: «ذهبت إلى قبر أمي فسألت الله أن يحييها فأحيها فأمنت بي وردها الله». وذكر الإمام السيوطي في رسائله أن هذا الحديث ضعيف ولكن ليس موضوعاً باتفاق المحدثين.

وقال القرطبي وابن شاهين وغيرهما إن هذا الحديث لأنه في حجة الوداع يكون ناسخاً للأحاديث الذي ورد فيها النهي عن الاستغفار لأمه حين زارها والذي ورد في صحيح مسلم وفي غيره.

واستكمالاً لما سبق، يُلفت النظر إلى عدة نقاط:

أولاً: فيما يتعلق بالأحاديث الواردة في كفر أبويه ﷺ كحديث «ليت شعري ما فعل أبوي»، وحديث أنه ﷺ استغفر لأمه فضرب

جبريل صدره وقال لا تستغفر لمن مات مشرِّكًا، وحديث أنه قال لابني مليكة «أمكما في النار». وهذه كلها أحاديث ضعيفة جدًا ومنقطعة الإسناد، مجهولة الرواة، ولا يحتج بها ولا يُعَوَّل عليها.

ثانيًا: ورد في كتاب الصحاح حديثان:

الأول: حديث أنه استأذن في الاستغفار لأمه فلم يؤذن له، وهذا منسوخ لحديث الإحياء لها الذي جاء بعده في حجة الوداع كما قال العلماء، ثم قول بعضهم لم يؤذن له في الاستغفار لها لأنها مغفورٌ لها من الأساس لأنها من أهل الفترة وكانت على دين الحنيفية دين سيدنا إبراهيم.

الثاني: الحديث الذي رواه مسلم وأبو داود عن ثابت عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: «في النار»، فلما قفا دعاه فقال «إن أبي وأباك في النار».

ومما سبق يعلم أن في الحديث علتين ذكرهما السيوطي وهما:

١- أنه من الأحاديث الذي تفرد بها مسلم عن البخاري أي لم يرد في البخاري، وفي أفراد مسلم أحاديث تُكَلِّمُ فيها، وهذا منها.

٢- وأنه عن حماد عن ثابت، وحماد بن سلمة تكلم في روايته وتكلم في حفظه ووقع في أحاديثه مناكير وسكت عنه البخاري ولم يخرج له البخاري شيئًا في صحيحه ولم يخرج له مسلم شيئًا

في الأصول. وقال الذهبي: له أوهام، وله مناكير كثيرة، وكان لا يحفظ، فكانوا يقولون إنها دُست في كتبه.

وثابت ذكره ابن عدي في «كامله» في الضعفاء، وقال إنه وقع في أحاديثه نكرة.

وقوله «إن أبي وأباك في النار» لم يتفق الرواة على ذكرها، وذكرها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه، وهي الطريقة التي رواها به مسلم، وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكر «إن أبي وأباك في النار» ولكن قال له: «إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار».

ومن حيث الرواية فمعمر أثبت من حماد لأن معمر لم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه واتفق الشيخان على التخريج له.

وأخرج نفس الحديث البزار والطبراني والبيهقي من حديث سعد ابن أبي وقاص برواية معمر عن ثابت وهي «إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار».

وكذلك أخرجه ابن ماجه من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري عن سالم بنفس الرواية السابقة عن معمر، فعلم أن اللفظ الأول من تصرف الراوي - وهو حماد - ورواه بالمعنى على حسب فهمه.

والحديث الصحيح إذا عارضته أدلة أخرى هي أرجح منه وجب تأويل وتقديم الأدلة عليه كما هو مقرر في الأصول^(١).

(١) انظر كتاب آثار النبي ﷺ لخالد مصطفى (ص ١٤٧ - ١٥١).

يقول الأستاذ الدكتور محمد عبده يماني وزير الثقافة والإعلام السعودي ما نصه^(١): «قال القاضي أبو بكر ابن العربي في المقالة الثالثة من كتابه المسمى بـ«لب القول في أبوي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم» ما نصه: «إن أبوي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أشرف أهل الجنة».

وقد عقد الفقيه الحنفي المشهور ابن عابدين فصلًا خاصًا في كتابه «رد المحتار على الدر المختار» قال فيه: وقد أكرم الله تعالى سيدنا محمدًا ﷺ بحياة أبويه له حتى ءامنا به، كما في حديث صححه القرطبي وابن ناصر الدين حافظ الشام وغيرهما وأنهما انتفعا بالإيمان بعد الموت على خلاف القاعدة إكرامًا لنيه ﷺ.

كما حصل مع قتيل بني إسرائيل ليخبر عن قاتله، وكما كان عيسى عليه السلام يحيي الموتى، والحديث الذي يروى عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نزل بالحجون كثيرًا فأقام بها ما شاء الله ثم رجع مسرورًا قال: «سألت ربي عز وجل فأحيا أمي فأمنت بي ثم ردها». وقد قال المحب الطبري والخطيب البغدادي وابن عساكر وابن شاهين والسهيلي والقرطبي وابن ناصر الدين وابن المنير وابن سيد الناس قالوا: إن هذا الحديث غير

(١) انظر الكتاب المسمى «النبي ﷺ ووالداه الكريمان»، الدكتور محمد عبده يماني، (ص ١٠٧، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٥).

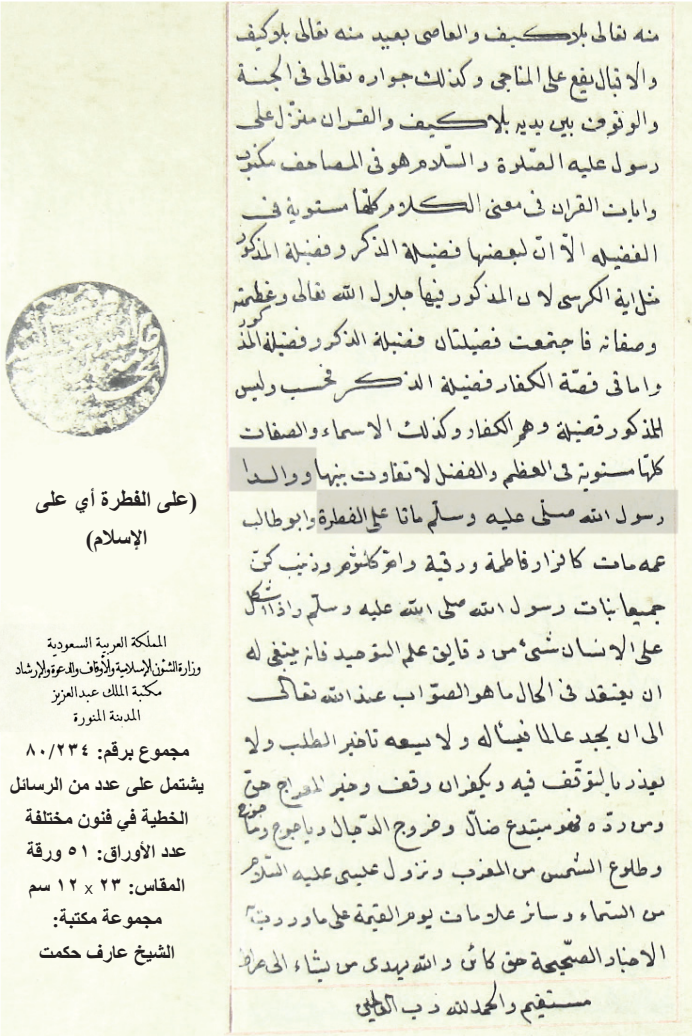
موضوع وليس من رواته من أجمع على جرحه هو من قسم الضعيف الذي تجوز روايته في الفضائل والمناقب، وقد جاء هذا في شرح المذاهب للطبري.

أما القول بأن والدي الرسول ﷺ ماتا في زمن الفترة، فقد رجحه ابن عابدين رحمه الله في قوله: وأما الاستدلال على نجاتهما بأنهما ماتا زمن الفترة، فهو مبني على تفسير الآية الكريمة ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥)، وأن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً، وهو المرجح عند أهل السنة والجماعة. والبخاريون من الماتريديّة وافقوا الأشاعرة، وحملوا قول الإمام: لا عذر لأحد في الجهل بخالقه، على ما بعد البعثة. واختاره المحقق ابن همام.

قال عبد العزيز: وعمدة من استدل على إيمان الأبوين هو ابن عباس وقتادة، كما رواه جماعة منهم: الطبراني والبخاري وأبو نعيم والخلال فقد فسروا التقلب في أصلابهم حتى ولدته أمه ﷺ، والحديث «لم أزل أتقل في الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام الزاكيات حتى ولدت من ءامنة وعبد الله».

قال النووي: هو المذهب الصحيح الذي صار إليه المحققون لقوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥)، وإذا كان لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة فلأن لا يعذب غير العاقل من باب الأولى.

مخطوطة الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي



(على الفطرة أي على الإسلام)

المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
مكتبة الملك عبدالعزيز
المدينة المنورة

مجموع برقم: ٨٠/٢٣٤
يشتمل على عدد من الرسائل
الخطية في فنون مختلفة
عدد الأوراق: ٥١ ورقة
المقاس: ٢٣ x ١٢ سم
مجموعة مكتبة:
الشيخ عارف حكمت

مستقيم والمحمد لله رب العالمين

ويؤكد ما ذهب إليه الإمام النووي رحمه الله تعالى
﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّبْتُ
الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . أي الزموا
أصل الخلقة التي خلق الناس عليها» اهـ.

خاتمة الكتاب

لقد تم بفضل الله وعونه جمع هذه الرسالة اللطيفة لتكون مستندًا لمن أراد الاطلاع على موضوع نجاة والدي المصطفى ﷺ. فالحمد لله على ما منح من النعم ومنع من النقم ودفع من السقم، بمولد سيد العرب والعجم الذي رسم بتوقيع حقه وحكم بتعظيم خلقه وقضى بتقدمه في الفضل على الرسل أكرم خلقه وجعل أمته خير الأمم ونجى والديه وجعلهما من أهل الجنة فأنعم بكل خير عليه وأكرمه بالزلفى لديه وحفظه من كل سوء وعصم.

أنزل ذكره في الكتب قبل إيجاده، ورحم العالمين بإرساله وميلاده وقسم له من الخيرات ما قسم فنحمد الله على أن جعلنا من أمته وجملنا باتباع ملته ووقفنا لاقتفاء سنته حمدًا ينيلنا المزيد من الكرم، وجعلنا نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا وزير ولا ند له ولا شبيهه ولا نظير له ليس كمثل شئ وهو السميع البصير، راجين أن تكون هذه الشهادة لنا في الدارين نورًا من الظلم.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد عبد الله ورسوله السامي على الملوك والهادي لأوضح السلوك والنافي لمثبات الشكوك المخصوص بجوامع الكلم وبدائع الحكم صلى الله عليه وعلى آله والأصحاب الأعلام وتابعيهم طلاب الخير وخير الطلاب.

أكرم بذا المدح السني العظيم المصطفى الهادي الحبيب الكريم،
مُدّاحه لو أطنبوا قد قصروا من بعد تنزيل العزيز الحميد.
وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين.

خاتمة في علم التوحيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد طه الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن اتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضدَّ ولا ندَّ ولا زوجة ولا ولد له، ولا شبيهه ولا مثل له، ولا جسم ولا حجم ولا جسد ولا جثة له، ولا صورة ولا أعضاء ولا كيفية ولا كمية له، ولا أين ولا جهة ولا حيِّز ولا مكان له، كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، تنزهه ربي عن الجلوس والقعود، وعن الحركة والسكون، وعن الاتصال والانفصال، لا يحلُّ فيه شيء، ولا ينحلُّ منه شيء، ولا يحلُّ هو في شيء لأنه ليس كمثله شيء، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر. وأشهد أن حبيبنا وعظيمنا وقائدنا وقره أعيننا محمدًا عبده ورسوله، ونبيه وصفيه وحبيبه وخليته ﷺ وعلى كلِّ رسولٍ أرسله.

يقول الله عزَّ وجلَّ في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ويقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَّ

إِلَيْهِ أَنَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿ [الأنبياء: ٢٥]، وقال سبحانه وتعالى:

﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال تقديست أسماؤه:

﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَلِكُمْ ﴾ [محمد: ١٩]. وقد بَوَّب البخاري رحمه الله تعالى وعنونَ في صحيحه لهذه الآية فقال: باب العلم قبل القول والعمل^(١)، وفي هذه الآية قَدَّمَ القراءنُ الأصلَ على الفرع، ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾؛ فالإيمان والتوحيد أصل وأساس وهو الحصن الحصين والركن الركين الذي بدونه لا يقبل العمل الصالح، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ»^(٢)، وهذه الأفضلية المطلقة، فأفضل الأعمال على الإطلاق الإيمان بالله ورسوله، فهو أفضل من الصلاة والصيام والزكاة والحج، وأفضل من قراءة القرآن والصدقات والذكر، وذلك لأنَّ الإيمان شرطٌ أساسٌ لا بد منه لقبول الأعمال الصالحة، وقد قال ربنا في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [البقرة: ٢٧٧]، فالإيمان أولاً، وفي آيةٍ أخرى قال: ﴿ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، ج ١، ص ٢٤.

(٢) روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سئل النبي ﷺ أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ». صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، الحديث (١٥١٩).

الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ ﴿ [الإسراء: ٩]، وقال ﷺ: «أفضل الأعمال إيماناً لا شكَّ فيه»^(١)، فإذا دخل عليه الشكُّ أفسده وأبطله، فلا يعود ولا يبقى الإنسان مؤمناً إن شكَّ في وجود الله تعالى أو في صدق الرسول ﷺ أو في حَقِّيَّة الإسلام، أو شكَّ في تنزيه الله، فهذا لا يكون من المسلمين، لذلك قال ربنا في صفة المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥] أي لم يشكوا لأنَّ الإيمان إذا دخل عليه الشكُّ أفسده؛ من هنا كان الواجب والفرض اللازم المؤكد الأول الإيمان بالله ورسوله، وهذا منهجٌ نبويٌّ وليس منهجاً مستحدثاً اليوم، وليس فكرةً ابتدعتها من عند أنفسنا وأخرجناها من جيوبنا، إنما هذا هو المنهج الذي جاء به محمد وعلمه ﷺ لصحابته وأمته.

وقد ثبت في الصحيح أنَّ أهل اليمن جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا له: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، فَأُنَبِّئْنَا عَنْ بَدءِ هَذَا الأَمْرِ مَا كَانَ»، فكان سؤالهم عن أول المخلوقات، أي عن أول هذا العالم وجوداً، وهو سؤالٌ مهم، إلا أن رسول الله ﷺ أجابهم عما هو أهم، أجابهم عن الأولى فقال ﷺ: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ

(١) روى الإمام أحمد من حديث عبد الله بن حُبْشِيِّ الخَثْعَمِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، سُئِلَ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ لَا شَكَّ فِيهِ». مسند أحمد، مسند المكيين، عبد الله بن حُبْشِيِّ، حديث (١٥٤٠١)، ج ٢٤، ص ١٢٢. والنسائي، سنن النسائي، كتاب الزكاة، جهد المقل، حديث (٢٥٢٦)، ج ٥، ص ٥٨.

شَيْءٌ غَيْرُهُ»^(١)، أي في الأزل لم يكن إلا الله، لا سماء ولا أرض ولا هواء ولا ماء ولا عرش ولا فرش، لا خلاء ولا ملاء، قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، فعلمهم الرسول ﷺ ذلك وأكده عليهم مع أنهم يعتقدونه لأنهم كانوا من المسلمين ويعرفون التنزيه، مع هذا عَلَّمَنَا المنهج، سألوا عن مهم فأجابهم عن أهم. وقوله ﷺ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ» معناه أن الله أزلي لا مكان له فلا يسكن السماء ولا يجلس على العرش، ليس في جهة واحدة ولا في كل الجهات، فهو تعالى لا يحتاج إلى الأماكن أزلاً وأبداً، هذا هو المنهج النبوي، وهذا تعليم الرسول ﷺ للأمة. ثم قال ﷺ: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى السَّمَاءِ»، فالماء هو أول العالم حدوداً ووجوداً، ثم بعد ذلك خَلَقَ العرش.

وانظر أخي القارئ إلى ما قاله حذيفة رضي الله عنه وأرضاه: «إِنَّا قَوْمٌ أُوتِينَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نُؤْتَى الْقُرْآنَ»^(٢). وقال سيدنا جندب ابن عبد الله رضي الله عنه: «كُنَّا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ غِلْمَانًا حَزَاوِرَةً

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، الحديث (٣١٩١).

(٢) رواه البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الصلاة، جماع أبواب صلاة الإمام وصفة الأئمة، باب البيان أنه إنما قيل: يؤمهم أقرؤهم إن من مضى من الأئمة كانوا يسلمون كبارا فيتفقون قبل أن يقرؤوا مع القراءة، حديث (٥٢٩١)، ج ٣، ص ١٧١.

تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ
إِيمَانًا»^(١). هذا هو المنهج النبوي الصحيح.

وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: «كُنَّا نَتَعَلَّمُ
التَّوْحِيدَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، وَأَنْتُمْ الْآنَ تَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَتَعَلَّمُونَ
التَّوْحِيدَ»^(٢)، وقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه هذا كان خطابًا
للذين كانوا في زمانه، فكيف بكثير من أهل زماننا اليوم الذين
أعرضوا عن تعلم علم التوحيد والعقيدة، وهذا هلاك كبير. وفي قوله
رضي الله عنه «كُنَّا» يشير إلى نفسه وإلى غيره من الصحابة، وفيه
إشارة إلى أن الصواب هو ما كانوا عليه، فهذا تأكيد منه رضي الله
عنه على أهمية علم التوحيد.

وانظر رحمك الله إلى ما صنفه التابعي الجليل الإمام العظيم
أبو حنيفة النعمان رضي عنه من رسائل في هذا العلم الشريف،

(١) البخاري، التاريخ الكبير، ج ٢، ص ٢٢١، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، افتتاح
الكتاب في الإيمان وفصائل الصحابة والعلم، باب في الإيمان، حديث (٦١)،
ج ١، ص ٢٣، والبيهقي، السنن الكبرى، كتاب الصلاة، جماع أبواب صلاة
الإمام وصفة الأئمة، باب البيان أنه إنما قيل: يؤمهم أقرؤهم إن من مضى
من الأئمة كانوا يسلمون كبارا فيتفقون قبل أن يقرؤوا مع القراءة، حديث
(٥٢٩١)، ج ٣، ص ١٧١، وقال الحافظ البوصيري بعد ذكر الحديث: هَذَا
إِسْنَادٌ صَحِيحٌ رَجَّاهُ ثِقَاتٌ. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، كتاب
اتباع السنة، باب في الإيمان، حديث (٢٢)، ج ١، ص ١٢.

(٢) الزاهد الصفار، تلخيص الأدلة، ص ٢٧.

فقد أَلَّفَ في علم التوحيد خمس رسائل^(١)، وقال في كتابه الفقه الأَبسط: «الفقه في الدين لأفضل من الفقه في الأحكام»^(٢)، يعني أن تتعلم أصول العقيدة أفضل من تعلم الأحكام الفرعية. وهذا الإمام أبو حنيفة بلغ درجة الاجتهاد المطلق، ثم إنه كان تلميذ الصحابة، وأخذ العلمَ عن قريب المائة تابعي، فتأمل.

فهذا ما جاء في القرءان وما جاء في الحديث وما ورد عن الصحابة والتابعين. وقد سلك العلماء بعد التابعين مسلك من قبلهم، فانظر إلى ما جاء في كتاب الفتاوى البزازية أو الجامع الوجيز في مذهب أبي حنيفة للعلامة محمد بن محمد شهاب الدين يوسف الكردي البزازي الذي كان من علماء القرن التاسع الهجري، فقد قال رحمه الله: «تعليم صفة الخالق مولانا جَلَّ جلاله للناس وبيان خصائص مذهب أهل السنة والجماعة من أهم الأمور، وعلى الذين

(١) قال شيخنا الحافظ الأصولي عبد الله الهرري: قلت: وللإمام أبي حنيفة رضي الله عنه «الفقه الأكبر» و«الرسالة» و«الفقه الأَبسط» و«العالم والمتعلم» و«الوصية»؛ أما «الوصية» فقد اختلف في نسبتها إلى الإمام كثيرًا، فمنهم من ينكر نسبتها للإمام مطلقًا ويزعم أنها ليست من عمله، ومنهم من ينسبها إلى محمد بن يوسف البخاري المكنى بأبي حنيفة وهذا قول المعتزلة لما فيها من إبطال نصوصهم الزائغة وادعائهم كون الإمام منهم - أي في المعتقد - كما في مناقب الكردية [مناقب أبي حنيفة، ص ٤٤]. صريح البيان، ص ٣١.

(٢) أبو حنيفة النعمان (ت: ١٥٠هـ)، الفقه الأَبسط، الإمارات، مكتبة الفرقان، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩ر، ص ٨٢.

تصدروا للوعظ أن يلقنوا الناس في مجالسهم وعلى منابرهم ذلك، هذا الأصل في المجالس وعلى المنابر، هذا الأصل»^(١). وانظروا إلى ما قاله الفقيه الشافعي أبو حامد الغزالي في كتابه قواعد العقائد بعد أن تكلم عن مبحث الصفات والعقيدة والتنزيه والتوحيد: «اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم للصبي في أول نشأته ليحفظه حفظاً»^(٢)، والصبي هو من كان دون البلوغ.

فأين الذين ينتقدون أهل الحق ويعترضون عليهم في تكرارهم لأمر العقيدة من هذا الكلام؟ عمّ الجهل وطمّ وانتشر الفساد، وصار أهل السنة والجماعة كاليتيم الذي لا كافل له، فتخيل أخي القارئ يتيماً لا كافل له كيف يكون حاله وأمره.

ومن مسائل علم العقيدة معرفة صفات الله تعالى الواجبة له إجمالاً وهي الصفات الثلاث عشرة التي لطالما تكرّر ذكرها في مصنفات العلماء، ولما تكرّر ذكرها في القرآن والحديث ونصوص العلماء قال العلماء: «يجب معرفتها وجوباً عينياً» على كل مكلف،

(١) محمد بن شهاب بن يوسف الكردي البريقيني الخوارزمي الشهير بالبزازي (ت: ٨٢٧هـ)، مختصر في بيان تفرّعات الأحكام المشهورة المشهور بـ: الفتاوى البزازية، تحقيق د. محمود مطرجي، لبنان، دار الفكر، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩ر، ج ١٢، ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، قواعد العقائد، تحقيق موسى محمد علي بيروت، عالم الكتب، ط ٢، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ر، ص ٧٥.

والوجوب في هذه المسألة هو معرفة معناها لا أن تُحفظ عين الألفاظ، وهذا سهل - أي اعتقاد المعنى - فهذا فرضٌ على كل مكلفٍ، وممن ذكر ذلك أبو حنيفة^(١) الذي هو من أئمة السلف وممن بعده محيي الدين النووي^(٢)، والسنوسي^(٣)، وكذلك محمد الفضالي الشافعي^(٤) وعبد المجيد الشرنوبي المالكي^(٥)، ومفتي لبنان الأسبق

(١) أبو حنيفة النعمان، الفقه الأكبر، الإمارات، مكتبة الفرقان، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ ر، ص ٥.

(٢) يحيى بن شرف أبو زكريا النووي (ت: ٦٧٦ هـ). قال أول واجب على المكلف معرفة الله تعالى [وعد الصفات]. المقاصد، تحقيق برهان الشاعر، دمشق، مطبعة الشام، ط ٣، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ ر، ص ١١.

(٣) محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، التلمساني، الحسن بن أبو عبد الله محدث، متكلم، منطقي، مقرئ، ولد سنة ٨٣٢ هـ، وتوفي بتلمسان سنة ٨٩٥ هـ. عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت: ١٤٠٨ هـ)، معجم المؤلفين، بيروت، مكتبة المشي دار إحياء التراث العربي، ج ١٢، ص ١٣٢. قال: ويجب على كل مكلف شرعاً أن يعرف ما يجب في حق مولانا عز وجل وما يستحيل وما يجوز. فمما يجب لمولانا... [وعد الصفات الواجبة إلى أن قال:]: فقد بان لك تضمّن قول: «لا إله إلا الله» للأقسام الثلاثة التي يجب على كل مكلف معرفتها في حق مولانا عز وجل. أم البراهين، ص ١٧٩-١٨٧.

(٤) محمد بن شافع الفضالي، الشافعي متكلم فقيه، من أهل مصر، توفي سنة ١٢٣٦ هـ. معجم المؤلفين، ج ١٠، ص ٦٠. شرح السنوسية، ص ٧٢.

(٥) عبد المجيد بن إبراهيم الشرنوبي الأزهري، المالكي، ولد في بلدة شرنوب التابعة لمركز دمنهور بمديرية البحيرة بمصر، وتوفي سنة ١٣٤٨ هـ عن سن عالية. معجم المؤلفين، ج ٦، ص ١٦٧. شرح تائية السلوك، القاهرة، =

الشيخ عبد الباسط بن علي الفاخوري^(١) وغيرهم من العلماء.

وصفات الله الثلاث عشرة الواجبة له إجمالاً هي:

الوجود: فالله تعالى يستحيل عليه العدم، موجودٌ أزلاً وأبداً بلا جهة ولا مكان، ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠]، أي لا شك في وجوده سبحانه، ووجوده تعالى أزلي أبدي ليس كوجودنا الحادث، فوجودنا بإيجاد الله لنا.

الوحدانية: أي أنّ الله تعالى واحدٌ لا شريك له، فهو تعالى واحدٌ في ذاته وصفاته وفعله؛ قال عزّ من قائل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

القيام بالنفس: أي أنه تعالى مستغنٍ عن كلّ ما سواه، وكلّ ما سواه محتاج إليه، فالعالم بما فيه لا يستغني عن الله طرفة عين، قال عزّ وجلّ: ﴿اللَّهُ الصَّكْمُ﴾ [الإخلاص: ٢].

القِدَم: بكسر القاف وفتح الدال، أي الأزلية، أي أنّ الله تعالى لا ابتداء لوجوده، فيستحيل عليه تعالى الحدوث؛ قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾.

= مكتبة القاهرة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ر، ص ٩٦-٩٧.

(١) عبد الباسط بن محمد علي الفاخوري (ت: ١٨٧٩هـ). قال المعرفة جزم القلب الموافق للحق عن دليل. فأول واجب على كل مكلف معرفة الله تعالى بأن يعتقد أن الله تعالى متصف بكل كمال [يليق به] ومنزه عن كل نقص [وعد الصفات وشرحها]. الكفاية لذوي العناية، بيروت، مطبعة جمعية الفنون، ١٣٩٧ر، ص ٤-٥.

البقاء: أي أَنَّ الله تعالى لا نهاية لوجوده، لا يفنى ولا يبديد ولا يهلك ولا يزول فيستحيل عليه الفناء، قال جلَّ جلاله: ﴿وَالْآخِرُ﴾. القدرة: وهي صفة أزلية أبدية يؤثر الله بها في الممكنات، فيستحيل عليه تعالى العجز، قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

الإرادة: أي المشيئة، وهي تخصيص الممكن العقلي ببعض ما يجوز عليه دون بعض وبصفةٍ دون أخرى فيستحيل حصول شيء خلاف مشيئته تعالى قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

السمع: فالله تعالى يسمع كلَّ المسموعات بدون أذن ولا آلةٍ أخرى، فيستحيل عليه تعالى الصمم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ [الشورى: ١١].

البصر: فالله تعالى يرى جميع المرثيات بدون حدقةٍ ولا آلةٍ أخرى، فيستحيل عليه تعالى العمى، قال تعالى: ﴿الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الكلام: أي أَنَّ الله متكلم بكلام ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، وما نجده في القرآن من ألفاظٍ عربيةٍ إنما هو عبارةٌ عن كلام الله الذاتي الأزلي وليس عين الصفة القائمة بذاته الكريم، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

الحياة: فالله تعالى حيٌّ يستحيل عليه تعالى الموت، وحياته ليست بروح ودم وعصب، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

العلم: أي أنّ الله تعالى عالمٌ بكل شيء، فهو تعالى يعلم الممكن ممكناً والمستحيل مستحيلاً والواجب واجباً، فيستحيل عليه تعالى الجهل، قال عزّ من قائل ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]. وعلمه تعالى أزليٌّ أبدي لا يزيد ولا ينقص ولا يتجدد.

المخالفة للحوادث: أي أنّ الله تعالى لا يشبه شيئاً من مخلوقاته ولا بأي وجهٍ من الوجوه، ولا بأيّ صفةٍ من الصفات، يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «وَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِمَعْنَى مَنِ مَعَانِي الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ».

فهذه عقيدة كل المسلمين، عقيدة جميع الأنبياء والرسل، عقيدة الصحابة وءال البيت، وعقيدة السلف والخلف، وعقيدة أكابر الصوفية، فمن شكّ أو توقّف أو أنكر صفةً من صفات الله فهو كافرٌ بالله تعالى كما ذكر ذلك أبو حنيفة رضي الله عنه، وقال سيدنا عليّ رضي الله عنه: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ إِلَهَنَا مَحْدُودٌ، فَقَدْ جَهَلَ الْخَالِقَ الْمَعْبُودَ»^(١)، ومن جهل الله كان كافراً به. وقد قال سيدنا

(١) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج ١، ص ٧٣.

علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري: «الجهل بالله كفر به»^(١)، فالذي ينسب لله الحدَّ صغيرًا كان أم كبيرًا أو ينسب لله الكمية أو الجسم أو الشكل أو الصورة أو الهيئة ليس مسلمًا. وقد نقل الإمام عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي أبو منصور الإجماع على كفر المجسمة^(٢) وعلى كفر القدرية الذين يكذبون بالقدر^(٣).

وبعد كلّ ما نقلناه من آياتٍ قرآنية وأحاديث نبوية وأقوالٍ للعلماء كيف يسعنا السكوت عن تعليم الناس أمور دينهم أو أن نقصّر في نشر علم التوحيد والتنزيه الذي هو الأصل والأساس.

وأختم بما قاله الرازي في كتابه مناقب الشافعي، قال رحمه الله: «من أنكر وذمّ وأبغض علم الكلام - يعني أصول العقيدة - فهو كافر»^(٤)، وهذا نصٌّ صريحٌ من الإمام الرازي في تكفيره، بل

(١) ابن فورك، مقالات الشيخ، ص ١٥٤.

(٢) نقل عبد القاهر بن طاهر أبو منصور البغدادي (ت: ٤٢٩هـ) إجماع الأمة: على تكفير المعتزلة والغلاة من الروافض والخوارج والنَّجارية والجهمية والمشبّهة. شوارق الأنوار الواضحات على تفسير الأسماء والصفات، ذكر معنى المؤمن، الفصل العاشر في بيان حكم معاملة أهل الأهواء، ج ٤.

(٣) أبو منصور البغدادي، شوارق الأنوار الواضحات على تفسير الأسماء والصفات، ذكر معنى الدائم من أسماء الله، ج ٣، ص ٩٩.

(٤) الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، مناقب الشافعي، تحقيق د. أحمد السقا، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦هـ

/ ١٩٨٦ ر، ص ١٠١-١٠٢.

وزاد قائلاً: «كافر لا يعرفُ اللهَ ولا يعرفُ الرسولَ ولا اليوم الآخر، وهو على دينِ عازر»^(١) أي مشرك بالله، فهناك ما قاله الرازي فيمن يذم علم التوحيد علم العقيدة والتنزيه، فلا تلتفتوا إلى الغوغاء المُرجفين الذين يهولون الأمر ويقولون: «لا تتكلموا في التوحيد، لا تتكلموا في العقيدة، العلماء ذموا علم الكلام»، قولوا لهم: كذبتهم، العلماء ذموا المعتزلة والمجسمة والقدرية والمرجئة وأهل الأهواء، أما علم التوحيد فقد قال فيه الشافعي: «أحكمننا ذلك قبل هذا»^(٢)، أي أتقنا علم التوحيد قبل علم الفقه والفروع. هذا الشافعي وهذا أبو حنيفة وهذا حذيفة وهذا جندب وهذا عبد الله بن عمر وهذه الأحاديث وهذا الإجماع الذي نقله العلماء على أهمية تعلم علم العقيدة علم الكلام الذي اشتغل به علماء أهل السنة والجماعة، فماذا يريد المعارضون بعد ذلك؟

تمكنوا في علم التوحيد، تمكنوا في علم العقيدة، فإنَّ من لم يعرف التنزيه والتوحيد لم يعرف الله، ومن لم يعرف الله ليس

(١) فخر الدين الرازي، مناقب الشافعي، ص ١٠٦.

(٢) ابن عساكر، تبیین كذب المفتري، ص ٣٤٢. ولفخر الدين الرازي من أنفس الكلام في الرد على من نسب إلى الإمام الشافعي رحمه الله أنه ذم علم الكلام، وذكر أنه أراد علم أهل البدع، وأن الشافعي كان يتقن علم الكلام الذي هو علم الأصول وكان يبرع به حتى أنه كان يناظر المبتدعة ويقيم عليهم الحجة رحمه الله. انظر مناقب الشافعي، ص ١٠١-١٠٦.

من المسلمين، ومن لم يكن مسلمًا لا تصحُّ منه صلاة ولا صيام
ولا حج، ومن مات على غير الإسلام فإنه يخلد في النار، اللهم إننا
نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

الفهرس

- ٣.....تقريظ.
- ٤.....نُبذة تعريفية بالشيخ الدكتور جميل حليم.
- ٨.....التوطئة الميزان في بيان عقيدة أهل الإيمان.
- ١٤.....نَسبُ الشيخ الدكتور جميل حليم إلى رسول الله ﷺ.
- ١٦.....خطبة الكتاب.
- ٢٢.....مقدمة في طهارة نسب الرسول ﷺ.
- ٢٨.....الباب الأول:.....
- ٢٨.....الفصل الأول.....
- استدلال بعض العلماء على أن والدي الرسول ﷺ قد خصهما الله
بدعاء إبراهيم عليه السلام وأبقاهما على ملته لم يغيرا ولم يبدلا
ولم يشركا.....
- ٢٨.....
- ٣١.....الفصل الثاني.....
- استدلال بعض العلماء على نجاة والدي الرسول ﷺ.....
- ٣١.....بأنهما ماتا في الفترة.....
- ٤١.....الفصل الثالث.....
- استدلال بعض العلماء على نجاة والدي الرسول ﷺ.....
- ٤١.....بما روي من إحيائهما.....
- ٤٢.....الباب الثاني.....

- ٤٢..... الفصل الأول.....
- ٤٢..... رد قول القائلين بعدم نجاة الأبوين.....
- ٥١..... الفصل الثاني.....
- فائدة عظيمة النفع وفيها بيان تضعيف الحفاظ والعلماء لحديث
- ٥١..... «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ».....
- ٦٠..... الفصل الثالث.....
- فائدة عظيمة تدل على إيمان عبد الله والد رسول الله ﷺ
- ٦٠..... من حديث رسول الله ﷺ.....
- ٦٣..... الباب الثالث:.....
- ٦٣..... الفصل الأول.....
- ٦٣..... ذكر ما جاء في كتاب السبل الجليلة في الآباء العلية.....
- ٧٤..... الفصل الثاني.....
- ذكر ما جاء في كتاب التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله ﷺ
- ٧٤..... في الجنة.....
- ٨٧..... الفصل الثالث.....
- ٨٧..... ذكر ما جاء في كتاب آثار النبي ﷺ.....
- ٩٠..... الفصل الرابع.....
- ٩٠..... ذكر ما جاء في كتاب إتحاف الحنفا بنجاة والدي المصطفى ﷺ.....
- ٩٣..... الفصل الخامس.....
- ٩٣..... نقول ومؤلفات حول موضوع نجاة والدي الرسول ﷺ.....

- الفصل السادس..... ١٢٢
- شذوذ وانحراف الوهابية بتكفيرهم والدي الرسول ﷺ
 واتهامهما بالشرك وأنهما من أهل النار..... ١٢٢
- الفصل السابع..... ١٢٥
- قصائد في نجاة والدي الرسول ﷺ..... ١٢٥
- يا والد الرسول..... ١٣١
- الفصل الثامن..... ١٣٨
- دار النابغة من بني النجار..... ١٣٨
- الفصل التاسع..... ١٣٩
- فتوى دار الإفتاء المصرية في نجاة والدي النبي ﷺ
 وأهم مسالكها الاستدلالية..... ١٣٩
- الفصل العاشر..... ١٤٣
- قذاعة ألسنة الطاعنين في والدي النبي ﷺ..... ١٤٣
- خاتمة البحث..... ١٤٦
- خاتمة الكتاب..... ١٥٥
- مخطوطة الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان
 صاحب المذهب الحنفي..... ١٥٦
- خاتمة في علم التوحيد..... ١٥٨
- الفهرس..... ١٧٢